روايات عالمية للجيب 70

ماتيلدا



تأليف : رو آلد دال
ترجمة وإعداد : د. أحمد خالد توفيق

المؤلف



هذا لقاؤنا الثانى مع (روآلد دال Roald Dahl) ، ولو كنت ممن يتابعون السلسلة بانتظام فأنت بالتأكيد أحببت الكتيب الأول (رحيق الملكات)(*) الذى ضم قصصًا قصيرة من مجموعته (قبلة قبلة) .. البعض اعتبر هذا الكتيب أجمل كتيبات السلسلة على الإطلاق .

من الصعب جدًا أن تصنف أدب (رو آلد دال) ، فهو ليس كاتب أطفال .. بعض قصصه مرعب فعلاً لدرجة أن (هتشكوك) ابتاع الكثير منها . كما أنه ليس كاتبًا للرعب ؛ لأن عنصر الخيال البهيج مهم فى قصصه ، وهو كذلك ليس أديبًا ساخرًا برغم أن السخرية والفكاهة السوداء ثابتتان فى أدبه ، لكنها سخرية ممزوجة بالكثير من القسوة . الحقيقة أنه خليط من هذا كله ، وكتاباته مزيج ساحر خلاب لا يقدر على كتابته سواه .

(*) الكتيب رقم 33

هاجر أبوه إلى إنجلترا من النرويج عام 1900 ، وولد (رو آلد) فى مقاطعة (ويلز) عام 1916 . وقد توفى الأب بعد مولده بأربع سنوات . ألحقته الأم بمدرس بريطانيـة هى (سان بيترز) ولم يبد تميزًا فى الدراسة ، لكنه كان مولعًا بـالقراءة وخاصة أعمال (رديارد كبلنج) و(رايدر هجارد) ، ومولعًا بالشيكولاتة حتى ظل يحلم بأن يعمل فى مصنع (كادبورى) للشيكولاتة . من هنا يمكننا معرفة مصدر قصته الشـهيرة (تشارلى ومصنع الشيكولاتة) . الواقع أن حياة دال تكشف بوضوح أنه من ذلك النموذج الذى لا يتورع عن شىء من أجل أحلامه .

التحق الفتى الراغب فى السفر ورؤية العالم بشركة (شل) للبترول ، وارتحل إلى تنزانيا حيث عاش مغامرات كثيرة ، من بينها إنقاذه لامرأة أفريقية اختطفها أسد ، وهى مغامرة كتبت عنها الصحف كثيرًا فى ذلك الوقت . جاءت الحرب العالمية الثانية فالتحق بسلاح الطيران ، وبعد ثمانية أسابيع من التدريب سمح له بأن يقود طائرة مقاتلة . سقطت به الطائرة فى صحراء ليبيا ونجا بمعجزة ليواصل الطيران بعد أشهر . وفى العام 1941 تم تسريحه بسبب نوبات صداع متكررة . وأرسل كملحق جوى لبريطانيا فى الولايات المتحدة . الحقيقة أنه كان يعمل كذلك مع

المخابرات البريطانية لزيادة النفوذ البريطانى فى أمريكا ، ومحاربة فكرة قيادة الولايات المتحدة للعالم .

هناك قدم قصته الأولى للأطفال (الأقزام) وكان هناك مشروع أن تقدمها شركة (ديزنى) لكنه لم يخرج للنور قط . على كل حال كانت هذه الخطوة بداية طريقه ككاتب ، وقد صار شهيرًا فى مجتمع الصفوة فى نيويورك وأقام علاقات كثيرة . بعد هذا عاد إلى إنجلترا .

توالت إبداعاته التى ترجمت إلى 15 لغة (أعتقد أنها صارت 16 بهذا الكتيب والكتيب السابق) ، وباعت أكثر من 100 مليون نسخة . ومن أشهر هذه الأعمال (ماتيلدا) التى نقدمها لك اليوم ، والتى تحولت إلى فيلم جميل من إخراج (دانى دى فيتو) . كما قدم (شارلى ومصنع الشيكولاتة) و(التمساح العملاق) و(الساحرات) للأطفال . يعرف من قرءوه بالإنجليزية أن كتاباته فى حالة زواج مستمرة مع الرسوم الشائقة البسيطة للفنان (كوينتين بليك) الذى رسم كل كتبه ، ومعظم قصصه للأطفال تحكى عن صغار يعانون قسوة وتوحش الكبار فى المدارس الداخلية ، وهو أثر واضح لطفولته كما يبدو . وقدم مجموعات قصص قصيرة منها (قبلة قبلة) و(حافلة روالد دال) و(أفضل

ما كتب روالد دال) و(شخص مثلك) و(قصص غير متوقعة) .. المجموعة الأخيرة تحولت لمسلسل تلفزيونى اسمه (رجل من الجنوب) . كما أنه كتب سيرتين ذاتيتين هما (صبى) و(المضى وحيدًا) .. من ضمن مواهبه كتابة سيناريوهات السينما ، ومن ضمن هذه الأفلام فيلم الجاسوسية الأشهر (36 ساعة) وفيلم بوند الشهير (أنت تعيش مرتين فقط) و(شيتى شيتى بانج بانج) .

هناك قصة لم أكن أعرفها من قبل ، هى أن الكاتب الكبير سقط فى عين الغرب عام 1983 ، عندما امتدح كتابًا مصورًا للكاتب (تونى كليفتون) يظهر فيه المجازر التى ارتكبتها إسرائيل فى لبنان ، وكيف قصفت ـ كالعادة ـ مدارس ومستشفيات واضحة تمامًا ولا يمكن الخطأ فيها .. قال دال إن هذا الغزو هو اللحظة التى جعلته يكره إسرائيل .. هكذا قامت الدنيا عليه ولم تقعد واتهموه بكل شىء ، حتى أعلن بوضوح : « أنا لست ضد اليهود .. أنا ضد إسرائيل » . وقد ظل محتفظًا بهذا الرأى بإصرار طيلة حياته حتى فى حديث أدلى به لجريدة (إندبندنت) عام 1990 قبل وفاته ، حينما قال :

ـ « أنا مصر علـى موقفـى ككـاره لإسـرائيل . يجب عليك أن ترى جانبى الصورة .. اليهود يسـيطرون علـى دور النشر ووسـائل الإعلام .. لهذا يضطر الرئيس الأمريكى لأن يبيـع مـا ينتجـه من أسلحة لهم .. »

إن ذكاءه الحاد جعله يخترق ضبـاب الإعـلام الصهيونـى الـذى يلف مفكرى الغرب ، فيرى الحقيقة التـى نراهـا نحـن مـن مكانتـا بوضوح . توفى فى نوفمبر عام 1990 بسرطان الـدم ، بعد حيـاة حافلة لم يكف فيها عن تقديم الجديد وإمتاع القراء وشحذ خيـال الأطفال .

هذا هو موقعه الرسمى على شبكة الإنترنت :

http://www. roalddahl. com/

د . أحمد خالد

قـارئة الكتـب

إنه لأمر غريب يتعلق بالآباء والأمهات . حتى لو كان طفلهما دملاً مقززًا فإنهما يعتبرانه مذهلاً . بعضهم يتمادى أكثر فيقنع نفسه بأن الطفل عبقرى .

حسن لا خطأ فى هذا .. هكذا تسير الأمور .. فقط عندما يكلمك الأبوان عن عبقرية ذريتهما تصرخ : « هاتوا لنا وعاء .. فنحن سنفرغ أمعاءنا ! » إن المدرسين يعانون الكثير من سماع هذا الهراء من الآباء الفخورين . لو كنت معلمًا لكتبت فى نهاية العام خطابات لاذعة لآباء هؤلاء الأطفال :

- « ابنكما ماكسميليان ميئوس منه .. أرجو أن يكون لديكما عمل مناسب له عندما ينهى المدرسة لأننى واثق تمامًا أنه لن يجد عملاً .. »

أو : « ابنتكما فيونا لها ذات الجمال الثلجى لجبل جليد ، لكنها على خلاف جبل الجليد لا تخفى أى شىء تحت سطح الماء .. »

أعتقد أننى بالفعل سأتلذذ بكتابة تقارير آخر العام للصف ، لكن هذا كاف .. فلنواصل قصتنا ..

أحيانًا تقابل آباء على العكس تمامًا لا يهتمون بأولادهم ، وهؤلاء بالطبع أسوأ من الفخورين . كان آل (ورموود) من هذا الطراز .. كان لديهما ابن يدعى (مايكل) وابنة تدعى (ماتيلدا) ، لكنهما كانا يعاملان ماتيلدا كأنها حشرة . حشرة عليك أن تتحملها إلى أن يأتى اليوم الذى تسقط فيه من تلقاء نفسها ..

هذا أمر سيئ طبعًا ، لكنه يصير أسوأ عندما يكون الطفل خارقًا للعادة . أعنى بهذا أنه عبقرى وحساس . كانت سريعة التعلم لدرجة أن موهبتها يمكن أن يلاحظها أى أبوين محدودى الذكاء . لكن أبويها كانا منغمسين فى حياتهما الغبية السخيفة حتى لم يلحظا أى شىء بصددها .. أعتقد أنهما لم يكونا ليلاحظا حتى لو زحفت للبيت بقدمين مكسورتين .

عندما كان عمرها سنة ونصفًا كان كلامها واضحًا وتحفظ كلمات تقترب مما يحفظه الكبار . لكن أبويها لم يفرحا بذلك بل قالا إنها ثرثارة ، وقالا إن الفتيات الصغيرات يجب أن يُرين ولا يُسمعن .

فى سن الثالثة علّمت نفسها القراءة وفى سن الرابعة بدأت تطالع الكتب ، وكان الكتاب الوحيد فى البيت هو (الطبخ السهل)

الخاص بأمهـا .. حفظتـه تمامًا ثم قررت أنها تريد كتابًا أكثر إمتاعًا .

- « بابا .. هل بوسعك شراء كتاب لى ؟ »

- « كتاب ؟.. لِمَ تريدين كتابًا ؟ »

- « لأقرأ يا بابا .. »

- « ما مشـكلة التلفـزيون بحـق السـماء ؟.. عندك تلفزيون جميل 12 بوصة وتسألين عن كتاب ؟.. أنت مدللة يا فتاة .. »

وفى كل يوم من الأسبوع عصرًا كانت (ماتيلدا) تبقى وحدها فى البيت . أخوها فـى المدرسـة (فهـو يكبرها بخمسـة أعـوام) وأبوها فى العمل وأمها تلعب (البينجو) مع صديقاتها على بعد خمسة أميال . هكذا يوم أن رفض أبوهـا شـراء كتـب مشـت إلـى المكتبة العامة فى القريـة ، وقدمـت نفسـها لأمينـة المكتبـة مسز (فلبيس) وطلبت أن تجلس وتقرأ . دهشت السـيدة لهذه الطفلـة الصغيرة التى جاءت وحدها دون أبٍ يرافقهـا ، لكنها رحبت بها .. فسألتها ماتيلدا :

- « أين كتب الأطفال لو سمحت ؟ »

ـ « هناك على هذه الأرفف .. هل تريدين أن أساعدك فى العثور على واحد فيه صور جميلة ؟ »

ـ « لا شكرًا .. أعتقد أن بوسعى عمل ذلك .. »

هكذا عصر كل يوم ، كلما ذهبت أمها للعب البينجو كانت تذهب للمكتبة . المسافة كانت تستغرق عشر دقائق وهناك كانت تجلس تلتهم كتابًا لمدة ساعتين . لما انتهت من كتب الأطفال انتقلت لكتب أخرى .

سألتها مسز (فلييس) فى حيرة :

ـ « ما عمرك بالضبط يا ماتيلدا ؟ »

ـ « أربعة أعوام وثلاثة أشهر .. »

اندهشت المرأة لكنها لم تظهر هذا ، وسألت :

ـ « أى كتاب تحبين ؟ »

ـ « أى كتاب يقرؤه الكبار .. كتاب جميل .. لا أعرف أسماء .. »

نظرت مسز (فلييس) إلى الأرفف . سألت نفسها عن نوعية كتب الكبار التى يمكن أن تقرأها طفلة فى الرابعة .. كادت تختار قصة رومانسية ، ثم قررت أن تبتعد عن هذا الرف ..

- « جربى هذه .. شهيرة جدًا وجيدة .. لو كانت طويلة عليك فلتقولى لى كى أجد شيئًا أسهل .. »

قرأت ماتيلدا :

- « (توقعات عظمى) .. تشارلز ديكنز .. أحب أن أقرأها .. »

قال مسز (فلييس) لنفسها : لابد أننى جننت ..

لم تقدر مسز (فلييس) طيلة الأيام التالية عن إبعاد عينيها عن الطفلة الصغيرة الجالسة ساعة بعد ساعة فى ركن الغرفة ، والكتاب على حجرها . السبب هو أنه ثقيل عليها .. مشهد غريب هو مشهد تلك الصغيرة التى لا تلمس قدماها الأرض غارقة مع (بيب) ومس (هافيشام) العجوز ببيتها الملىء بنسيج العناكب ، والسحر الذى نسجه القاص العظيم (ديكنز) بكلماته .

فى الأسبوع الأول سألتها مس (فلييس) :

- « هل أمك تجلبك هنا عند المجىء وعند الذهاب ؟ »

- « أمى تلعب البينجو ولا تعرف أننى هنا .. »

ـ « لكن هذا ليس سليمًا .. ربما كان الأفضل أن تخبريها .. »

ـ « لا أظن .. فهى لا تشجع على قراءة الكتب ، وكذلك أبى .. يتوقعون أننى أجلس لمشاهدة التلفزيون .. »

ثم أردفت فى شىء من الحزن :

ـ « أمى لا تهتم بما أفعله .. »

كانت السيدة (فلييس) قلقة على الفتاة من مشيها فى الشارع المزدحم ، لكنها آثرت الصمت .

خلال أسبوع انتهت ماتيلدا من (توقعات عظمى) وعدد صفحاتها 411 صفحة . وسألت مسز (فلييس) :

ـ « لقد أحببتها .. هل كتب مستر (ديكنز) قصصًا أخرى ؟ »

ـ « الكثير .. »

وفى ستة الأشهر التالية قرأت (ماتيلدا) :

نيكولاس نيكلبى بقلم : تشارلز ديكنز

أوليفـر تويســت بقلم : تشــارلز ديكنـز

جيــن إير بقــلم : شـــارلــوت برونتى

كبـريـاء وتحــامل بقلم : جيــن أوســتن

تيس أسرة أوربرفيل بقلم : توماس هاردى

كيـــم بقــلم : رديـــارد كبلنـــــج

الرجـــل الخفى بقـــلم : هـ . ج . ويلـز

العجـــــوز والبحــر بقلم هيمنجـــواى

الصوت والغضب بقلم : ويليـــام فوكنــر

عناقيـد الغضــب بقلم : جــون شــتاينبك

مزرعة الحيــوان بقلم : جــورج أورويـل

كــانت قائمـة محترمـة فعـلاً مـلأت السيدة (فلييـس) إثــارة ودهشـــة . لو كــان أحـــد غيرهـــا ســمع بـالتقدم الذى تحـرزه الطفـلة لمـلأ الدنيــا صراخًا وأخبر القريـة كلهـا ومـا وراءها ،

لكن السيدة كانت من الطراز الذى يهتم بشئونه الخاصة .. وعرفت أن التدخل فى أمور الآخرين لا يفيد إلا قليلاً ..

قالت لها ماتيلدا :

ـ « مستر هيمنجواى يقول أشياء لا أفهمها عن الرجال والنساء لكنى أحب ما يقوله عامة .. »

ـ « هكذا الكاتب الجيد .. لا تقلقى بصدد ما لا تفهمين .. فقط اتركى الكلمات تسبح حولك كأنها الموسيقا .. هل تعرفين أن هذه المكتبات العامة تسمح لك باقتراض الكتب للبيت ؟ »

ـ « لم أعرف هذا .. كيف ؟ »

ـ « عندما يروق لك كتاب هاته لى وسوف أسجله .. يمكنك الاحتفاظ به لمدة أسبوعين لتقرئيه كما تشائين .. »

من يومها صارت ماتيلدا تزور المكتبة كل أسبوع لتأخذ المزيد من الكتب . صارت غرفة نومها الصغيرة غرفة مطالعة تقرأ فيها

طيلة العصر ، وجوارها قدح من الشكولاتة الساخنة . لم يكن طولها يسمح ببلوغ الأشـياء فى المطبخ ؛ لذا احتفظت بصندوق تصعد عليه كلما أرادت شيئاً . وكانت الكتب تأخذها لعوالم جديدة وناس مدهشين عاشوا حيوات مثيرة . أبحرت بسفن جوزيف كونراد الخشبية العتيقة ، وزارت أفريقيا مع هيمنجواى والهند مع رديارد كبلنج . كل هذا وهى فى غرفتها الصغيرة فى القرية البريطانية .

مستر ورموود تاجر السيارات العظيم

كان أبواها يملكان بيتا جميلاً فيه ثلاث غرف نوم فى الطابق العلوى . فى الطابق الأرضى كانت غرفة طعام ومعيشة ومطبخ . كان أبوها يتاجر فى السيارات المستعملة وكان يربح الكثير منها .

كان يقول فى فخر :

ـ « نشارة الخشب من أهم أسباب نجاحى .. ولا تكلف شيئًا .. »

سألته (ماتيلدا) :

ـ « ما نفعها لك ؟.. لا أعرف علاقتها ببيع السيارات .. »

ـ « لأنك شىء مضحك صغير .. »

لم يكن رقيقًا معها قط ، لكنها اعتادت ذلك . وكانت تعرف كيف تتملقه فيعترف :

ـ « لن أخبرك لأنك غبية جدًا كى تفهمى هذا .. لكن سوف أخبر (مايك) لأنه سوف ينضم لى فى العمل يومًا .. أنا دومًا اشترى السيارات التى قادها الحمقى حتى أنهكوا تروس السرعات .. أشتريها رخيصة .. ثم أخلط نشارة الخشب بالزيت فى صندوق التروس ، وهكذا تصير ناعمة تمامًا .. »

سألته ماتيلدا :

ـ « كم من الوقت تعمل بنعومة قبل أن (تشخشخ) ؟ »

ـ « نحو مائة ميل .. مسافة تسمح للمشترى بأن يبتعد عنى ! »

ـ « لكن هذا غش يا أبى .. »

ـ « لا أحد يصير ثريًا بالأمانة .. الزبائن هنـاك ينتظرون من يغشهم .. »

كـان رجـلاً لـه مظهر الفـأر تـبرز أسنانه الأماميـة من تحـت شاربه الرفيع ، وكان مولعًا بربطات العنق الصفراء والخضـراء . قال لها :

ـ « مثلاً عداد السرعات .. كل من يبتـاع سيارة مستعملة ينظر أولاً لعداد السرعات .. أبتاع السـيارة التـى قطعت 150 ألـف ميل .. لا أحد يمكن أن يشترى سيارةً قطعت مسـافة كهـذه .. وفـى هـذه الأيام لا يمكنك اللعب فى العداد كما كنا نفعل فى المـاضى .. هنـا استعمل عقلى .. أجلس وأفكر : كيف يمكـن أن أعيـد عداد السـرعة مـن 150 ألـف ميـل إلـى عشـرة آلاف دون أن أفـك العـداد ؟..

لو استطعت أن أمشى بالعربة للخلف لهذه المسافة لفعلت ذلك .. لكن من المجنون الذى يمكن أن يمشى بسيارة للخلف آلاف الأميال ؟.. لا أحد .. أهرش رأسى وأستعمل مخى .. عندما يكون عندك مخ ممتاز كمخى فعليك أن تستعمله .. فجأة يأتى الحل .. إيوريكا !!.. وجدتها !! »

يسأله ابنه الذى ورث حب أبيه للنصب :

ـ « ماذا وجدت ؟ »

ـ « أفصل الكابل الذى يوصل عداد المسافات بالعجلة الأمامية .. ثم أحضر مثقابًا كهربيًا وألف طرف الكابل حوله ، بحيث إذا دار أدار العداد للخلف .. هل تفهمنى ؟ »

ـ « نعم يا أبى .. »

ـ « يدور المثقاب بسرعة .. هكذا يتراجع رقم العداد آلاف الأميال فى دقائق .. هكذا صار رقم العداد عشرة آلاف والسيارة معدة للبيع .. أقول للزبون إن السيارة جديدة تقريبًا .. كانت تقودها سيدة عجوز تستعملها مرة واحدة كل أسبوع للتسوق ..

أنا أعلمك أسرار المهنة ، فلا تخبرها لكل من تقابله ، ما لم ترد لى أن أسجن .. »

ـ « لن أفعل يا أبى .. لكن هل تعمل هذا مع كل سيارة ؟ »

ـ « كل سيارة تقع تحت يدى .. »

كانت ماتيلدا تصغى فقالت :

ـ « لكن هذا غش أسوأ من نشارة الخشب يا أبى .. »

ـ « لو لم يرقَ لك فلتكفى عن أكل طعامى .. لقد ابتعته كله بالنقود التى أحصل عليها بهذه الطريقة .. »

ـ « لكنه شىء قذر .. أنا أكرهه .. »

احمر وجهه وصاح فيها :

ـ « من تحسبين نفسك لتعظينى ؟؟؟ أنت مجرد حشرة صغيرة لا تعرف عما تتكلم .. »

أمرتها الأم بالصمت كى يتمكنوا من مشاهدة التلفزيون ..

كانت الأسرة جالسة على ركبها على الأرض أمام التلفزيون تلتهم الطعام فى أطباق صغيرة من الألومنيوم مقسمة لتستوعب اللحم والبطاطس والبازلاء . وكانت مسز (ورموود) تمضغ طعامها وهى لا ترفع عينها عن التمثيلية السخيفة فى التلفزيون . كانت امرأة ضخمة تصبغ شعرها بلون البلاتين ، وتضع ماكياجًا ثقيلاً جدًا ، وجسدها مكتنز بتلك الطريقة التى توحى بأن الدهن ملفوف حول جسمها ليحميها لدى السقوط .

سألتها ماتيلدا :

ـ « ماما .. هل تسمحين لى بتناول الطعام فى غرفة الطعام لأواصل قراءة هذا الكتاب ؟ »

قال الأب :

ـ « أنا أمانع .. العشاء مناسبة لاجتماع الأسرة فلا يترك أحد المائدة إلا عندما ينتهى .. »

ـ « لكننا لا نجلس على مائدة .. ولا نجلس أبدًا إلا لمشاهدة التلفزيون .. »

سألها فى نعومة خطرة :

- « وما المشكلة فى مشاهدة التلفزيون ؟.. هل لى أن أسأل ؟ »

راح الغضب يغلى فى داخلها ففضلت الصمت . كل ما قرأته جعلها تتمنــى أن يريا ما رأتـه .. قراءة ديكنز سوف تجعلهما يريان عالمًا أكبر من غش الزبائن ومشاهدة التلفزيون .

كانت كذلك تكره إصرارهما على أنها غبية جاهلة وهى ليست كذلك .. كان الغضب بداخلها يغلى برغم أنها كانت بعد فى الخامسة .. يجب أن تنتقم حتى لا تجن ..

القبعة والصمغ الجبار

فى الصباح التالى ، وقبل أن يذهب الأب للمرآب ، بحثت ماتيلدا عن القبعة التى يلبسها كل يوم . كانت من تلك القبعات مسطحة القمة عليها ريشة ، وكان الرجل شديد الفخر بها . فقد كان يعتقد أنها تعطيه منظرًا جريئًا ..

أمسكت بالقبعة بيد وأنبوب الصمغ الجبار باليد الأخرى ، وضغطت طبقة من الصمغ حول الحافة وداخلها . كان التوقيت ممتازًا لأنها وضعت الصمغ بينما أبوها ينهض من مائدة الإفطار .

لم يلحظ الرجل شيئًا حتى وضع القبعة ، وحتى ذهب إلى المرآب .. عندها لم يستطع نزع القبعة .. إن الصمغ الجبار قوى جدًّا لدرجة أنك قد تنتزع جلدك لو حاولت بشدة .

اضطر لإبقاء القبعة على رأسه طيلة اليوم ، ولكى يتفادى الحرج تظاهر بأن هذا طبيعى كأنه زعيم عصابة ممن يبقون القبعة على رأسهم طيلة الوقت .

حين عاد لداره هذا المساء لم يستطع نزع القبعة .. فقالت زوجته :

- « لا تكن سخيفًا .. أنا سأنزعها لك .. »

وشدت القبعة بقوة فأطلق صرخة هلع .. وصرخ : « أووووه !.. توقفى وإلا انتزعت لحم رأسى .. »

كانت ماتيلدا تراقبه من فوق الكتاب الذى تقرؤه وسألته :

- « ماذا هناك يا أبى ؟.. هل تمدد رأسك فجأة ؟ »

نظر لها فى شك عميق ولم يقل شيئًا . بينما قالت زوجته :

- « لابد أنه الصمغ الجبار .. أنت تستحق هذا .. لابد أنك كنت تحاول لصق المزيد من الريش فى قبعتك .. »

صاح مستر ورموود :

- « أنا لم أمس الشىء اللعين ..!.. عم تتحدثين بالضبط أيتها الساحرة الغبية ؟.. هل تحسبيننى ألصقت هذا الشىء برأسى عمدًا ؟ »

ونظر لماتيلدا الذى ظلت تبادله النظر بعينين واسعتين بريئتين . وشد حافة قبعته كى يمنع أى واحد من جذبها . قالت ماتيلدا :

ـ « هناك صبى فى القرية وقع الصمغ الجبار على إصبعه ، ثم دس إصبعه فى أنفه فالتصق .. النتيجة أنه راح يمشى فى القرية لمدة أسبوع وإصبعه فى أنفه طيلة الوقت ، وكل الناس توبخه على ذلك .. كان هذا محرجًا ! »

قالت مسز ورموود :

ـ « يستحق هذا .. أولاً ما كان عليه أن يضع إصبعه هناك .. هذه عادة قذرة .. لو وضعوا علىٰ أصابع الصبية الصمغ الجبار لكفوا عن ذلك .. »

صاح مستر ورموود وقد احمر وجهه :

ـ « كفى !! »

وتناول العشاء أمام التلفزيون والقبعة على رأسه .. بدا سخيفًا فعلاً ..

وعندما اتجه للفراش تساءل :

- « كيف سأستحم ؟ »

- « عليك أن تستغنى عن الحمام .. »

وراقبت زوجها يجوب الغرفة بمنامتــه الحريرية وقبعتــه علـى رأسه ، فبدا لها غبيًـا جدًا . من الصعب أن تحلم المرأة برجل كهذا زوجًا .

هنا اكتشف زوجها أن أفظع ما فى التصـاق قبعة برأسك هو أن تحاول النوم بها . قالت له زوجتــه بعد مـا ظل سـاعة كاملـة يتقلب :

- « هلا توقفت عن الحركـة ؟.. أتوقـع أن تسـقط القبعة فـى الصباح ويمكننا فكها .. »

لكنهـا لـم تسـقط فـى الصبـاح ، وهكـذا أخـذت مســز ورمـوود المقص وبدأت تمزق القبعة .. لم تستطع تمزيق الجزء المحيط بالرأس ؛ هكذا نزعت الشعر نزعًا وصــار هنـاك شـريط عـار مـن الشعر يحيط بالرأس .. كأنه راهب من نوع ما ..

على الإفطار قالت له ماتيلدا :

ـ « يجب أن تحاول نزع بقايا القبعة عن شعرك يا أبى .. يبدو الأمر كأن حشرات صغيرة بنية تزحف فى كل مكان .. كأنك مقمل ! »

ـ « فقط فلتبقى فمك المتسخ مغلقًا .. »

كان الأمر ممتعًا بحق ، لكن كان من الصعب أن تأمل أن يتعلم الأب درسًا يبقى معه ..

الشـــــبح

ساد الهدوء لمدة أسبوع بعد موضوع الصمغ .. يبدو أن التجربة هدأت من غلواء مستر ورموود قليلاً ..

ثم استعاد نشاطه فجأة .. لابد أنه لم يبع ما يكفى من السيارات التالفة . المهم أنه عاد للبيت فشعرت زوجته بالعاصفة القادمة ، وآثرت تركه فى حاله ، فقد عرفت أنه يبحث عن شخص ينفجر فيه .

اتجه لغرفة المعيشة .. كانت ماتيلدا ملتفة على نفسها فى شيزلونج هناك تقرأ .. فتح هو التلفزيون ونظر لها .. لم تتحرك . لقد علمت أذنيها أن تنغلقا كلما اشتغل الجهاز الكريه .

ظلت تقرأ وهذا أثار جنونه .. إنها تنال المتعة من شىء لا يفهمه .

صاح فيها :

– « ألا تكفين عن القراءة أبدًا ؟ »

صاحت :

ـ « مرحبًا أبى .. كيف كان يومك ؟ »

انتزع الكتاب من يدها :

ـ « ما هذا الكلام الفارغ ؟ »

ـ « ليس كلامًا فارغًا يا أبى .. إنه (المهر الأحمر) قصة الأديب الأمريكى جون شتاينبك .. لم لا تجرب قراءته ؟ »

ـ « قاذورات !.. ما دام المؤلف أمريكيًا فهذا الكتاب قاذورات .. لقد مللت هذا ومللت قراءتك طيلة الوقت .. هيا أوجدى لنفسك شيئًا أكثر نفعًا .. »

ثم بدأ يمزق الصفحات ويلقيها فى صندوق القمامة .

تجمدت الفتاة هلعًا .. كان واضحًا أنه يعانى درجة من الغيرة .. كيف تجرؤ على أن تنعم بالقراءة وأنا لا ؟

قال وهو يواصل التمزيق :

- « سوف يكون عليك أن تشترى كتابًا آخر من مصروفك لمس (فلبيس) .. هه ؟.. »

ثم ألقى بالغلافين فى صندوق المخلفات ..

كان أى شخص فى مكان ماتيلدا سينفجر بالبكاء ، لكنها لم تفعل .. جلست صامتة مفكرة . نابليون قال إن أفضل معاملة لمن يهاجمك هو أن تهاجمه بالعكس .. هكذا بدأ عقلها الباطن ينتقم . وبدأ هذا مع ببغاء (فريد) .

(فريد) صديق ماتيلدا ، وهو طفل فى السادسة يعيش فى الجيرة ، وهو مولع بالببغاء المتكلم الذى أهداه أبوه له .

فى اليوم التالى ما إن رحلت مسز (ورموود) بسيارتها للعب البينجو ، حتى ذهبت ماتيلدا لبيت (فريد) . طلبت منه أن يريها الطائر الشهير ، فسره هذا واقتادها لغرفة نومه حيث قبع ببغاء أصفر وأزرق فى قفص طويل .

- « هذا هو .. اسمه (تشوبر) .. »

ـ « اجعله يتكلم .. »

ـ « ليس هذا بوسعك .. عليك أن تصبرى وهو سيتكلم متى شاء .. »

جلسا ينتظران وبعد قليل قال الببغاء :

ـ « هالو .. هالو .. هالو .. »

كأنه صوت آدمى .. ثم قال :

ـ « أطرقع عظامى .. أطرقع عظامى ! »

قال (فريد) :

ـ « هو يقول هذا دومًا .. »

ـ « رائع .. هل لك أن تقرضه لى ليلة واحدة ؟ »

ـ « بالطبع لا .. »

ـ « سوف أعطيك مصروف أسبوع .. »

فكر الصبى ثم قال لها :

ـ « هـذا يختلف .. ليكن .. لكن عدينى بأن ترجعيه صباح غـد .. »

عـادت مـاتيلدا بـالقفص لبيتها حيث غرفـة الطعـام ، واتجهت للمدفأة فعملت على إدخال القفص فى المدخنة .. بصعوبة ..

ناداها الببغاء :

ـ « هالو .. هالو .. هالو .. »

ـ « أصمت .. »

قالتها له وذهبت لتغسل السناج عن يديها ..

فـى هـذه الليلـة جلـس الأم والأب والأخ ومـاتيلدا يتنـاولون العشاء أمام التلفزيون ، عندما جاء صوت عال من غرفة الطعام يقول : « هالو هالو .. »

صرخت الأم :

ـ « هارى .. ثمة شىء فى البيت .. أسمع صوتًا ! »

جلسوا جميعًا يصغون .. وصاح أخوها :

ـ « هذا هو .. »

وقالت الأم :

ـ « لصوص ! »

قال الأب :

ـ « أعتقد أنهم كذلك .. »

ـ « إذن أذهب للقبض عليهم .. أعتقلهم متلبسين !.. ربما هم هنا من أجل الفضيات .. »

لكن الأب لم يتحرك .. لم يبد متعجلاً ليصير بطلاً .. ثم مسح يديه فى المنشفة وقال :

ـ « لم لا نذهب ونرى معًا ؟ »

همست ماتيلدا :

ـ « بالتأكيد هم فى غرفة الطعام .. أنا متأكدة .. »

التقط الأب مضرب جولف بينما التقطت الأم محرك النار والأخ حمل أباجورة ، ومشى الأربعة نحو غرفة الطعام .. والأب يمشي خلف الآخرين ..

هنا دوى الصوت :

ـ « هالو .. هالو .. هالو .. »

وثبت ماتيلدا للغرفة وصاحت :

ـ « هيا !.. ارفعوا أيديكم ! »

وثب الباقون خلفها لكن لم يكن أحد فى الغرفة .. هتفت الأم :

ـ « لكنى سمعتهم ! »

وراحت تبحث خلف الأريكة .. ووراء الستائر . هنا عاد الصوت يتردد :

ـ « أطرقع عظامى .. أطرقع عظامى ! »

وثب الجميع بينما صرخت الأم واعتصرت رقبة زوجها :

ـ « لابد .. لابد أن هذا شبح .. وليساعدنا الله .. »

قالت ماتيلدا :

ـ « أعرف أنه شبح .. سمعته من قبل هنا . الغرفة مسكونة وحسبتكما تعرفان هذا .. »

قال الأب وقد صار لونه رماديًا :

ـ « سأخرج من هنا .. »

وجروا جميعًا وأغلقوا الباب خلفهم ..

فى الصباح التالى أخرجت ماتيلدا الببغاء الذى غطاه السناج من مكانه .. وخرجت به من المنزل خلسة .

سألها فريد :

ـ « هل كان مهذبًا ؟ »

ـ « قضينا وقتًا رائعًا .. لقد أحبه أبواى جدًا .. »

ريـاضـــيـات

تمنت ماتيلدا لو صار أبواها عطوفين متفهمين .. كان هذا مستحيلاً لكن المقالب التى كانت تدبرها لهما كلما أساءا لها جعلت الحياة محتملة .

كانت صغيرة جدًا لذا لم تملك أية قوة على أفراد أسرتها سوى قوة العقل . لكن تبقى الحقيقة هى أنها فى هذه السن مضطرة لعمل ما تؤمر به حتى لو كان البقاء وحدها عصرًا أو مشاهدة التلفزيون الكريه فى وقت العشاء .

لقد ظل أبواها على قدر من الهدوء بعد حادثة الببغاء ، إلى أن انفجر الأب من جديد عندما عاد للبيت يومًا ليجد ماتيلدا وأخاها على الأريكة ينتظران قدوم أمهما بالعشاء ، وكان التليفزيون مغلقًا .

كان يلبس بذلة صفراء وربطة عنق خضراء ، توشك على أن تعمى الناظرين . وقد عاد للبيت راضيًا يفرك يديه ، وجلس على الأريكة وقال لابنه :

ـ « أبوك قد كان يومه موفقًا يا بنى .. صار أكثر ثراء الليلة مما كان صباح اليوم .. باع خمس سيارات .. نشارة خشب ..

مثقاب كهربى .. لطخة طلاء هنا وهنا . وسرعان ما يجن البلهاء كى يبتاعوها ! »

ثم أخرج ورقة من جيبه وقال لابنه :

ـ « بما أنك ستشاركنى هذه المهنة ، فعليك أن تتعلم جمع الأرباح فى نهاية اليوم .. هيا هات القلم وجرب بنفسك .. »

عاد الصبى بالقلم والورق ..

ـ « اكتب .. السيارة الأولى ابتعتها بـ 278 جنيهًا وبعتها بـ 1425 .. هل كتبت هذا ؟ »

دون الصبى الأرقام ..

ـ « السيارة رقم 2 كلفت 118 جنيهًا وبعتها بـ 760 .. السيارة الثالثة كلفت 111 جنيهًا وبيعت بـ 999 جنيهًا .. هذه من حيلى الشهيرة .. لا تطلب رقمًا مستديرًا بل انزل تحته قليلاً .. لا تقل ألفًا بل قل 999 .. هذا يبدو أقل .. السيارة الرابعة كلفت 86 جنيهًا لأنها كانت حطامًا وبيعت بـ 699 .. السيارة الخامسة كلفت 637 وبعتها بـ 1649 جنيهًا .. هل كتبت هذا كله ؟.. اجمع الربح الذى حققته من كل سيارة لتعرف كم حقق أبوك العبقرى من ربح اليوم .. »

قال الصبى :

ـ « هذا يعنى الكثير من الجمع .. »

ـ « طبعًا هو كذلك ... يجب أن تكون بارعًا فى الرياضيات عندما تعمل عملى .. لقد حسبت كل شىء فى عشر دقائق برأسى .. »

ـ « هل حسبت هذا برأسك ؟ »

ـ « ليس بالضبط .. لا أحد يستطيع هذا .. أنا فقط فعلته بسرعة .. الآن احسب وقل لى كم ربحت وسأقارن هذا بالرقم الذى دونته فى جيبى .. »

قالت ماتيلدا :

ـ « أبى .. أنت ربحت بالضبط 4303 جنيه .. »

ـ « لا تضايقينا فأخوك وأنا مشغولان .. »

ـ « لكن يا أبى ... »

ـ « اخرسى .. حاولى أن تكونى بارعة .. »

ـ « أنظر للإجابة فى جيبك .. لو كنت حسبتها بشكل صحيح .. »

نظر للورقة فى جيبه وتصلب .. ساد الصمت ثم أمرها :

ـ « كررى هذا .. »

ـ « 4303 جنيه .. »

صار وجهه أحمر فعلاً ... ثم صاح فجأة وهو يشير لها بإصبعه :

ـ « أيها الغشاشة !.. أنت قرأت الورقة ! :

ـ « أبى .. أنا فى الجهة الأخرى من الغرفة فكيف أرى ورقة فى جيبك ؟ »

ـ « أنت كذوب وغشاشة يا آنسة .. فلا أحد فى العالم يمكنه إجراء هذه الحسبة بعقله خاصة لو كان فتاة ! »

هنا جاءت الأم بصينية كبيرة عليها أربع وجبات عشاء . كان العشاء سمكًا وبطاطس مقلية .. فلعب البينجو كان يرهقها حتى أنها لم تكن تستطيع الطهى فى العشاء .

قال لها الأب :

ـ « ابنتك غشاشة كذابة .. افتحى التلفزيون ودعينا لا نتكلم .. »

الرجل بلاتينى الشعر

راحت ماتيلدا تلتهم الطعـام وهى تفكر فى طريقة للانتقام من أبيها . فلم تدخل الفراش إلا وقد وجدت الحل المناسب .

فى الصباح التالى ذهبت للحمـام وأغلقت البـاب . كمـا نعرف كانت مسز ورموود تصبغ شعرها بلـون بلاتينـى ، فضـى لامـع . كانت تقوم بالعملية الكبرى مرتين فى العام عند الكوافير ، لكن فـى كـل شـهر كـانت تصبغـه فـى حـوض الغسيل بشـــىء يدعـى (صبغة شعر أشقر بلاتينى) . كان هذا يلون الشعيرات البنيـة التـى تظهر عند الجذور . كانت الزجاجة فى الخزانـة فـى الحمـام ، وعلـى الزجاجة كتب (احترس !.. هذا بروكسيد .. أبقه بعيدًا عن الأطفال) .

كان أبوها يملك شعرًا أسود يفرقـه عند المنتصف ويفخـر بـه كثيرًا .. وكان يقول :

ـ « الشعر الصحى يعنى أن تحته مخًا سليمًا .. »

فكانت تقول له :

ـ « مثل شكسبير .. »

ـ « من ؟ »

ـ « شكسبير .. »

ـ « هل هو عبقرى ؟ »

ـ « نعم يا أبى .. »

ـ « وهل كان له شعر غزير ناعم ؟ »

ـ « كان أصلع يا أبى .. »

ـ « ما دمت لا تقدرين على قول كلام محترم فلتصمتى .. »

كان يبقى شعره قويًا بأن يدعكه كل صباح بزيت اسمه (زيت مقو للشعر) . كانت الزجاجة هناك جوار فرش الأسنان وكان يدعكه بقوة كل صباح وهو يردد :

ـ « آه ه !.. هذا أفضل !.. هذا هو الصنف !.. هلم إلى الجذور .. »

الآن فى خلوة الحمام فتحت زجاجة الزيت وسكبت ثلاثة أرباع السائل فى الحوض ، ثم ملأت الزجاجة بصبغة شعر أمها . ظل لون المقوى كما هو تقريبًا .. ثم أعادت كل شىء لمكانه ..

جلست على مائدة الإفطار تأكل رقائق القمح بينما أخوها يلتهم أكوامًا من الخبز المغطى بزبد الفول السودانى ومربى الشليك . وكانت الأم تعد طعام الأب الذى يتكون من بيضتين مقليتين مع اللحم والسجق .

هنا دخل مستر ورموود الغرفة فى صخب كعادته .. كأنه يقول : أنا هنا .. الرجل العظيم .. الذى يدفع الفواتير ويجعلكم تعيشون فى سعة .. لذا احترمونى !

ضرب ظهر ابنه وصاح :

ـ « هلم يا بنـى .. أبوك يشعر بـأن هذا يوم آخر من أيام تحقيق المال !.. لدى بعض الجميلات سوف أبيعهن للحمقى .. أين إفطارى ؟ »

ـ « قادم يا كنزى ! »

لم تجسر ماتيلدا على رفع رأسها .. لم تعرف مـا يمكن أن تراه .. ولو رأت ما تتوقع أن تراه فلن تستطيع التحكم فى نفسها . كـان أخوها ينظر خارج النافذة وهو يلتهم الزبد بالمربى . جاءت الأم من المطبخ حاملة الإفطار ، هنا رأت زوجها فتصلبت . ثم صرخت وأسقطت ما تحمله على الأرض .

صرخ فيها :

ـ « ما بك يا امرأة ؟.. انظرى ما فعلت بالبساط ؟ »

صرخت الأم :

ـ « شعرك !!.. ماذا فعلت بشعرك ؟ »

ـ « ما بال شعرى ؟ »

لم تتحرك ماتيلدا وسط هذا الجنون .. ظلت جالسة معجبة ببراعتها .. لقد صار شعر مستر ورموود فضيًا متسخًا كأنه سروال لاعبة سيرك لم تغسله طيلة موسم كامل .

ـ « أنت صبغته يا مجنون .. إن منظره شنيع !.. تبدو كالمجانين ! »

اخضر وجهه وقال :

ـ « عم تتحدثين ؟.. بالطبع لم أصبغه .. هل هى نكتة سخيفة ؟ »

قال ابنه :

ـ « بل أنت صابغته .. إنه بنفس لون شعر أمى .. فقط يبدو متسخًا .. »

ـ « هل كنت تحاول أن تبدو أصغر ؟.. تبدو كأنك جدة أحدهم وقد جنت .. »

صاح الأب :

ـ « هاتى مرآة وكفى عن الصراخ ! »

مدت يدها لحقيبة يدها وأخرجت مرآة مستديرة صغيرة وناولتها لزوجها .. فتحها ونظر لنفسه ..

- « رباه !.. ماذا حدث لى ؟.. لا يمكن أن أبيع السيارات بهذا المنظر !.. كيف حدث هذا ؟ »

قالت ماتيلدا :

- « أعتقد يا أبى أنك لم تكن تنظـر بعنايـة واستعملت زجاجـة صبغة شعر أمى بدلاً من دوائك .. »

قالت الأم :

- « فعلاً هذا مـا حـدث يـا هـارى .. إلـى أيـة درجـة يمكـن أن يصـل غبـاؤك ؟.. لـم لا تقـرأ المكتـوب علـى الزجاجـة ؟.. أنـا استعمل ملعقة صغيرة واحدة على طست ماء كامل .. ويبدو أنـك أغرقت به رأسك .. هل بدأت فروة رأسك تحرقك ؟ »

صرخ الرجل :

- « هل تعنين إننى سأفقد شعرى ؟ »

- « أعتقـد هـذا .. البيروكسـيد مـادة قويـة جدًا .. نفس مـا يصبونـه فى المرحاض لتنظيفه .. فقط يعطونه اسمًا آخر .. »

صرخ الرجل :

ـ « أنا لست مرحاضًا !.. لا أريد أن يتم تعقيمى ! »

ـ « حتى مع كونى أخففه فهو يسقط الكثير من شعرى .. من المدهش أنه لم يزل قمة رأسك ! »

ـ « قولى لى ما يجب عمله ! »

قالت ماتيلدا :

ـ « لو كنت مكانك لغسلته جيدًا بالماء والصابون .. لكن بسرعة .. »

ـ « وهل هذا سيزيل اللون ؟ »

قالت الأم :

ـ « بالطبع لا .. لكن سيكون عليك أن تصبغه بالأسود .. لكن اغسله أولاً لتتأكد من زوال الصبغة .. »

صرخ الرجل :

ـ « حسن .. اطلبى موعدًا مع الكوافير الخـاص بـك .. قولـى لهم إنها حالة طوارئ !.. سوف أغسله حالاً .. »

وجرى إلى الحمام .. بينما اتجهت الأم للهاتف لتطلب صـالون التجميل ..

وقالت وهى تطلب الرقم :

ـ « يؤسفنى أن الرجـال ليسوا بالبراعة التى يزعمونها .. سـوف تتعلمين هذا عندما تكبرين يا فتاة .. »

مس هونى (*)

تأخرت ماتيلدا نوعًا عن بدء الدراسة . معظم الأطفال يدخلون المدرسة الابتدائية فى الخامسة لكن أبويها لم يكونا مهتمين بتعليمها ، ونسيا أن يرتبا الأمور . لذا دخلت المدرسة وسنها خمس سنوات ونصف .

كانت مدرسة القرية بناية كئيبة من القرميد اسمها (كرانتشم) ، وفيها 250 تلميذًا .. المديرة كانت امرأة ضخمة مرعبة اسمها مس (ترنشبول) .

كانت معلمة ماتيلدا تدعى مس (هونى) لابد أن عمرها كان 23 أو 24 .. كان لها وجه جميل بيضاوى كوجه (المادونا) فى اللوحات القديمة ولها عينان زرقاوان . كانت هشة جدًا لدرجة أنك تتوقع أنها لو سقطت لتهشمت لألف قطعة كالخزف .

كانت مس (هونى) هادئة لا ترفع صوتها أبدًا ولا تبتسم ، لكنها كانت تملك موهبة أن يهيم بها الأطفال الذين تعنى بهم . كانت تفهم ذعر الأطفال لدى دخول المدرسة ..

(*) كل الأسماء فى القصة ذات دلالة الأب اسمه يوحى بدودة الخشب (مس هونى) العسل (مس ترنشبول) يوحى اسمها بالثور إلخ .

المديرة مس (ترنشبول) كانت مختلفة تمامًا . كانت رعبًا عملاقًا .. وحشًا طاغية يخيف الأطفال والمدرسين معًا . حتى من بعيد كانت مرعبة وحين تقترب منك كنت تشعر الخطر ينبعث منها كما تنبعث الحرارة من قضيب حديدى ساخن . حينما تمشى مشيتها العسكرية تسمعها تغط من أنفها ، وعندما كان صف من الأطفال يقف فى طريقها كانت تبعثرهم يمينًا ويسارًا .

الحمد لله أننا لا نلقى الكثير على شاكلتها فى العالم برغم أنهم موجودون . لو قابلت أحدهم تصرف كأنك قابلت خرتيتًا غاضبًا خارجًا من الدغل .. تسلق شجرة وابق هناك حتى يرحل . من المستحيل تقريبًا وصف هذه المرأةِ لكن سأحاول ذلك من جديد ، لكن دعنا الآن نعد لماتيلدا وصفَ مس (هونى).

لقد قالت مس (هونى) للأطفال :

ـ « هذا أول يوم لكم فى الصف .. وهو يعنى بداية أحد عشر عامًا من الدراسة .. فقط أنصحكم بأن تطيعوا مس (ترنشبول) بلا مناقشة .. لا تجادلوا معها .. لو أثرتم غضبها فهى قادرة على أن تحيلكم لعصير مثلما يحدث للجزرة فى الخلاط .. ليس

هذا مما يثير الضحك .. تذكروا أنها تتعامل بعنف شديد جدًا جدًا جدًا مع من يخرق النظام فى الصف .. »

دوى 18 صوتًا صغيرًا يقول :

ـ « نعم يا مس (هونى) .. »

ـ « هذا العام أتوقع أن تتعلموا جدول الضرب حتى 12 .. هل منكم من حفظ جدول ضرب 2 ؟ »

رفعت ماتيلدا يدها .. كانت الوحيدة التى فعلت ذلك ..

نظرت لها مس هونى بإمعان وقالت :

ـ « رائع .. أرجو أن تقفى وتقولى قدر وسعك .. »

بدأت ماتيلدا تسمع جدول (2) حتى بلغت (2 X 12 = 24) ولم تتوقف بل استمرت حتى (2 X 15 = 30) الخ ..

كانت مس هونى تصغى لها مندهشة من التسميع السلس ، وهتفت :

ـ « توقفى .. إلى متى تنوين الاستمرار ؟ »

ـ « لا أعرف يا مس هونى »

ـ « هل تعنين أنك تعرفين كم تساوى 2 فى 28 ؟ »

ـ « 56 يا مس هونى »

ـ « وماذا عن 2 فى 487 ؟ »

ـ « 974 .. »

قالتها ماتيلدا بهـدوء وأدب بلا عـلامة استعراض . نظرت لها مس هونى فى ذهول ولكن عندنا تكلمت حاولت أن يكون صوتها هادئاً . كانت مذهولة .. لم تلق طفلاً فى الخامسة من قبل يجيد جدول الضرب بهذا الشكل ..

ـ « أرجو أن تسمعوا هذا كلـه .. مـاتيلدا فتـاة محظوظـة جداً لأن لديها أبوين مدهشين علماها جدول الضرب .. »

قالت ماتيلدا :

ـ « فى الحقيقة يا مس هونى لا .. »

ـ « هل تعنين أنك علمت نفسك ؟ »

ـ « لا أعرف فى الحقيقة يا مس هونى .. فقط أعـرف أن جدول الضرب سهل بالنسبة لى .. »

شهقت مس (هونى) ثم نظـرت للفتـاة الصغيرة ذات العينين اللامعتين وسألتها :

ـ « هلا شرحت لى هذا ؟.. مثلاً لو طلبت منك ضـرب 14 فـى 19 ؟.. هذا صعب .. »

ـ « 266 .. »

نظرت لها مس هونى ثم أمسكت بقلم وأجرت عملية الضرب .. ثم وضعت القلم ونزعت عويناتها وراحت تلمع العدستين بمنديل ورقى . ظل الصف صامتًا ينتظر ما سيحدث .

قالت مس هونى :

ـ « قولى لى يا ماتيلدا .. ماذا يدور فى رأسك عندما تجرين عمليات حسابية كهذه ؟.. »

ـ « لا أعرف .. لا أعرف .. فقط أضع 14 فى ذهنى وأضربها فى 19 .. أخشى أننى لا أعرف كيف أشرح .. كنت أقول لنفسى لو استطاعت آلة حاسبة أن تفعل هذا فلم لا أقدر أنا ؟.. أعتقد أن المخ البشرى أكفأ من قطعة معدن .. »

الآن صارت مس (هونى) واثقة من أنها تقابل عقـلاً رياضيًا خارقًا للطبيعة . كانت تعرف أن هذه الأعـاجيب تظهر فـى العالم من وقت لآخر لكن مرة أو مرتين كل مائة عام .. كان موتسارت

فى الخامسة عندما بدأ يؤلف مقطوعات للبيانو .. ولتر ما صار منه .

قالت لافندر :

ـ « هذا غير عادل .. كيف تفعل هى هذا ولا نقدر عليه ؟ »

قالت مس هونى كاذبة :

ـ « لا تقلقى .. سوف تصيرين مثلها سريعًا .. »

كانت تعرف أن عليها الاهتمام بباقى الصف ، لكنها ظلت منبهرة بهذه الطفلة . نظرت للفصل وقالت :

ـ « دعونا من الأرقام ونتكلم عن الهجاء .. هل منكم من يعرف كيف يتهجأ كلمة (هرة) ؟ »

ارتفعت ثلاثة أيد .. يد تخص (لافندر) ويد تخص (نيجل) ويد تخص (ماتيلدا) .

ـ « تهجأ يا نيجل .. »

تهجأها نيجل . هكذا قررت أن توجه سؤالاً ما كانت لتفكر أبدًا فى سؤاله للصف فى اليوم الأول .. اتجهت للوح الكتابة وكتبت : لقد تعلمت أن أقرأ الجمل الطويلة . تعمدت أن تجعل العبارة معقدة وهى تعرف أن هناك أطفالاً أذكياء هنا . ثم سألت :

ـ « هلا أخبرتنى بمعنى هذه العبارة يا نيجل ؟ »

ـ « هذا صعب .. »

ـ « لافندر ؟ »

ـ « الكلمة الأولى هى (لقد) .. »

ـ « هل هناك من يقدر على قراءتها ؟ »

وعرفت أن الـ (نعم) الأولى ستأتى من ماتيلدا . قالت ماتلدا :

ـ « نعـم .. »

وقرأت الجملة بلا تردد . قالت مس هونى :

ـ « هذا رائع .. ما مدى إجادتك للقراءة يا ماتيلدا ؟ »

ـ « أقرأ كل شىء يا مس هونى برغم أننى لا أفهم الكثير مما أقرؤه .. »

خرجت مس هونـى من الغرفة ، ثم عادت بعد ثلاثين ثانية وهى تحمل كتابًا ثقيلاً .. فتحته بشكل عشوائى ووضعته على منضدة ماتيلدا وقالت :

ـ « هذا كتاب شعر مرح .. حاولى القراءة بصوت عال .. »

بسلاسة بدأت ماتيلدا تقرأ ..

ـ « رجل ذواقة يأكل فى مطعم (كرو)

وجــد فــأرًا فى العصــيدة ..

صاح به الساقى : لا تصرخ وتلوح به

وإلا طلب باقى الزبائن مثله .. »

سألتها مس هونى :

ـ « هل تعرفين معنى (ذواقة) يا ماتيلدا ؟ »

ـ « هو شخص يدقق كثيرًا فى أكله .. »

ـ « بالضبط .. وهل تعرفين اسم هذا النوع من الشعر ؟.. »

ـ « اسمها قصيدة فكاهية .. »

ـ « نعم .. القصائد الفكاهية تبدو سهلة لكنها صعبة فى كتابتها جدًّا .. »

ـ « أنا جربت كتابة بعضها لكنها ليست جيدة .. »

ـ « حقًا ؟.. نحن نرغب فى سماع قصائدك هذه .. »

ـ « أنا كتبت عنك واحدة يا مس هونى وأنت جالسة هناك"

ـ « عنى أنا ؟.. لابد من أن أسمعها ! »

ـ « أخشى أننى لا أجرؤ على استعمالها يا مس هونى لأنها تذكر اسمك الأول كى تناسب القافية .. إن اسمك الأول هو (جينى) .. »

ـ « أنا مصرة على أن أسمعها .. »

وقفت ماتيلدا وبدأت تلقى القصيدة :

ـ « ثمة شيء أكيد بخصوص (جينى)

أنه لا يوجـــد مثلهـــا الكثيـــر ..

هـــل توجـــد فى مكانهـــا

جميـــلات مثلهـــا ؟

الجواب هو : مستحيل ! »

شحب وجه مس هونى ثم ابتسمت .. ابتسامة عريضة جميلة ..

ـ « أشكرك يا ماتيلدا .. برغم أن هذا كلام غير صحيح فـالقصيدة جميلة .. يجب أن أحفظها .. »

قال صبى اسمه روبرت :

ـ « هى قصيدة جميلة وصادقة .. »

سألتها مس هونى :

ـ « من علمك القراءة ؟ »

ـ « أنا علمت نفسى وقرأت كتبًا كثيرة .. لقد أحببت (الأسد والساحرة وخزانة الثياب) .. أعتقد أن مستر (سى . إس . لويس) كاتب عبقرى .. لكن لديه عيبًا هو أنـه لا توجد أجزاء مضحكة كثيرة فى روايته .. »

ـ « ومعك حق .. »

ـ « كذلك مستر (تولكين) لا يكتب أجزاء مضحكة .. الأطفـال ليسوا جادين كالكبار .. يحبون أن يضحكوا .. »

اندهشت مس هونى من حكمة هذه الطفلة . وراحت تنظر لهـا فى إعجاب .. لقد نسيت كل شىء عن باقى الصف . وسألتها :

ـ « ماذا ستفعلين بعد إنهاء كتب الأطفال؟ »

ـ « أنا أقرأ تشارلز ديكنز وأحبه .. يجعلنى أضحك خاصة مـع مستر بكويك .. »

هنا دق الجرس فى نهاية الردهة .

الترنشـــــبول(*)

فى الفسحة غادرت مس هونى الصف واتجهت لغرفة المديرة . لقد قابلت طفلة تملك قدرات خارقة للعادة . لابد مـن عمـل شـىء مع هذه العبقرية .

كانت فى العادة تخاف المديرة وتبتعد عنها قدر الإمكان ، لكنها الآن كانت متأهبة لتواجه أى شخص . دقت الباب الرهيب فـدوى صوت المديرة المرعب :

ـ « أدخل ! »

معظم مديرى المدارس يتم اختيارهم لأنهم ذوو صفات حميدة .. يفهمون التلاميذ ويفهمون اهتماماتهم . يهتمون بـالتعليم .. لكن مس ترنشبول لم تملك أيًا من هذه الصفات .. ولا يعرف أحد كيف ظفرت بوظيفتها .

كانت ضخمة جدًا .. رياضية شهيرة قديمة مليئـة بـالعضلات . تنظر لها فتدرك أنها قادرة على ثنى قضبان الحديد وتمزيق دليـل الهاتف لنصفين .. وجهها لم يكن يحوى أى جمال أو يبعث علـى المرح . فم قاس وعينان مغرورتان .. أما ثيابها فكانت أغرب .. تربـط حزامًا عريضًا حول خصرها .. حزامًا لـه إبزيـم فضـى عملاق .. وكانت تلبس حذاء رياضيًا وجوربين أخضرين يظهران

عضلات ساقيها بقوة . بدت عامة كصياد متعطش للدم منها كمديرة مدرسة .

عندما دخلت مس هونى الصف كانت المرأة تقف جوار مكتبها الضخم وقد ظهر نفاد الصبر على وجهها .

ـ « ماذا تريدين يا مس هونى ؟؟؟ أنت متوردة الوجه اليوم .. هل بصق عليك هؤلاء العفنون الصغار ؟ »

ـ « لا يا سيدتى المديرة .. لا شىء من هذا .. »

ـ « إذن قولى ما هنالك .. أنا امرأة مشغولة .. »

وصبت لنفسها كأس ماء من دورق كبير ..

ـ « هناك فتاة فى صفى اسمها (ماتيلدا ورموود) .. »

ـ « هى ابنة بائع سيارات مستعملة .. شخص ممتاز هو .. كنت هناك أمس وباعنى سيارة شبه جديدة .. فقط مشت عشرة آلاف ميل .. صاحبتها القديمة كانت امرأة عجوزًا تقودها مرة فى السنة .. أنا أحب (ورموود) هذا .. إنه من أعمدة مجتمعنا .. قال لى إن ابنته سيئة جدًا وطلب أن أراقبها .. قال لى لو أن شيئًا خطأ حدث فلابد أنها المسئولة .. اليوم هناك من وضع قنبلة عفنة الرائحة فى مكتبى تحت المقعد .. أنا أعرف يقينًا أنها من فعل هذا .. لم أر هذه الحشرة لكنها ستعرف عندما أفعل .. »

صاحت مس هونى :

ـ « لا يا سيدتى . هذا غير صحيح .. »

ـ « بل هو صحيح للأسف .. سوف أؤدبها .. ولكن كيف تبدو ؟.. لابد أنها دودة صغيرة قذرة .. لقد اكتشفت فى حياتى التربوية أن الفتاة السيئة أخطر بمراحل من الولد السيئ .. الفتيات الصغيرات مخلوقات قذرة وإننى لسعيدة لأننى لم أكن واحدة منهن .. »

ـ « لكنك كنت فتاة صغيرة يا سيدتى .. بالتأكيد .. »

نبحت المديرة وقالت :

ـ « لم يطل هذا .. صرت امرأة بسرعة جدًا .. »

قالت هونى لنفسها إن المديرة مجنونة تمامًا كأنها بقة فراش ..

ـ « أؤكد لك أنك مخطئة تمامًا بصدد ماتيلدا .. لقد وصلت المدرسة هذا الصباح فقط وجاءت للصف .. »

ـ « أنا لا أخطئ أبدًا .. شكرًا لأنك أوحيت لى بالأمر كله .. والآن لماذا تضيعين وقتى ؟ »

ـ « عندى أخبار مهمة جدًا عن ماتيلدا .. إنها عبقرية ! »

احمر وجه السيدة وانتفخت كأنها ضفدع غاضب وصاحت :

ـ « عبقرية ؟! .. لابد أنك مجنونة .. أبوها نفسه يقول إنها شخصية إجرامية ..

ـ « أبوها مخطئ .. »

ـ « أنت قابلت الحشرة نصف ساعة بينما أبوها عرفها طيلة حياته ! »

حكت لها مس هونى ما حدث لها مع ماتيلدا ، فنبحت مس ترنشبول قائلة :

ـ « إذن هى حفظت بعض الجداول عن ظهر قلب يا آنسة .. هذا لا يجعلها عبقرية ولكن يجعلها ببغاء ! »

ـ « لكنها كذلك تقرأ يا سيدتى .. »

ـ « وكذلك أنا ! »

ـ « رأيى أنه يجب أن تنقل ماتيلدا لتكون مع الصبية ذوى الأحد عشر عامًا .. »

ـ « ها !.. إذن تريدين الخلاص منها !.. لا تريدين تحمل مسئوليتها وتبغين تعذيب معلمة أخرى بها ! »

ـ « لا .. ليس هذا غرضى أبدًا .. »

ـ « وأنا أقول لا .. سوف تبقى حيث هى ، وعليك أن تراقبيها بحذر .. »

ـ « لكن .. »

ـ « ولا كلمة أخرى .. قاعدتى هنا أن يبقى التلاميذ فى سنهم مهما بلغت قدراتهم !.. »

وقفت مس هونى عاجزة أمام هـذا العمـلاق ذى العنق الأحمر .. فى النهاية قالت :

ـ « ليكن .. كما تشائين يا سيدتى .. »

صاحت المرأة :

ـ « معك حق .. الأمر أمرى !.. ولا تنسى أننا نتعامل هنا مع أفعى صغيرة وضعت قنبلة تحت مقعدى .. »

ـ « لم تفعل .. »

ـ « بل فعلت .. وإننى لأتمنى لو كان مسموحًا لـى باسـتعمال العصـا والحزام كمـا فـى الأيـام الطيبـة الخاليـة .. كنـت سأشـوى مؤخرتها فلا تقدر على الجلوس شهرًا .. »

غادرت مس هونى الغرفة وقالت لنفسها :

ـ « لن أستسلم .. سـأفعل شيئًا لمـاتيلدا .. لا أعرف مـا هو لكنى سأفعله .. »

الأبـــــوان

عندما غادرت غرفة المديرة كان معظم الصبية فى الفناء . اتجهت لتقترض بعض الكتب من زملائها الذين يدرسون لسنوات أكبر .. كتب جبر وجغرافيا ولغة فرنسية ثم نادت ماتيلدا .

ـ « ليس من المعقول أن تجلسى فى الصف بلا عمل ، بينما أنا أشرح جدول ضرب (2) وطريقة هجاء (قط) و(فأر) .. لذا سوف أعطيك بعض هذه الكتب وفى نهاية الدرس تأتينى وتسألين ما تريدين .. اتفقنا ؟ »

ـ « شكرًا يا مس هونى .. هذا يبدو ممتازًا .. »

فكرت مس هونى : ما ألطفها طفلة .. لا يهمنى ما قاله أبوها عنها .. إنها هادئة لطيفة ويبدو أنها لا تشعر البتة بمدى عبقريتها .

عندما التأم الصف جلست ماتيلدا فى مقعدها وراحت تدرس الكتب . راقبتها مس هونى ورأت أنها غاصت فى الكتاب تمامًا ..

قررت المعلمة أن تذهب لبيت ماتيلدا وتكلم أبويها بنفسها . من المستحيل أن الأبوين لا يدركان مدى ذكاء ابنتما . مستر ورموود بائع سيارات ناجح فلابد أنه ذكى . الأبوان لا يقللا من مواهب

ابنهما بل العكس هو الصحيح دائمًا . أحيانًا يستحيل على المعلم إقناع الأم أن ابنها مغفل تمامًا . لن تجد مس هونى صعوبة فى إقناع الأبوين بعبقرية ابنتهما .

سوف تذهب الليلة فى ساعة متأخرة بين التاسعة والعاشرة بعد ما تكون ماتيلدا قد أخلدت للنوم .

هذا ما فعلت .. عرفت العنوان من سجلات المدرسة ثم مشت من بيتها لبيت آل (ورموود) بعد التاسعة . كان البيت فى شارع جميل بنى بقرميد غالى الثمن . قرعت الجرس ووقفت تصغى لصوت التلفزيون بالداخل .

فتح الباب رجل يشبه الفئران له شارب رفيع ويلبس معطف تدريب . وسألها :

- « نعم ؟.. هل تبيعين تذاكر يانصيب ؟.. أنا لا أشتريها .. »

قالت :

- « لا .. أرجو أن تغفر لى تطفلى .. أنا مدرسة (ماتيلدا) وأريد الكلام معك وزوجتك .. »

- « هل وقعت فى المتاعب بهذه السرعة ؟.. إنها مسئوليتك من الآن فصاعدًا وعليك أن تدبرى أمرك .. »

ـ « ليست هناك أى متاعب .. جئت بأخبار مذهلة عنها .. هل لى أن ادخل لدقائق ؟ »

قال لها :

ـ « نحن نشاهد برنامجنا المفضل .. لم لا تأتين فى وقت آخر ؟ »

بدأت تفقد صبرها فقالت :

ـ « مستر ورموود .. لو كنت ترى أن برنامج تلفزيون متعفنًا أهم من مستقبل ابنتك ، فأنت لا تصلح أبًا !.. لم لا تغلق الجهاز اللعين وتصغى لى ؟ »

لم يعتد الرجل أن يكلمه أحد بهذه الطريقة ، فنظر لها بحذر وقال :

ـ « حسن .. تعالى ولننه الأمر بسرعة ولكن تذكرى أن مسز ورموود لن تشكرك على هذا .. »

نظرت له الزوجة التى كانت تشاهد التلفزيون فى نهم :

ـ « من هذه ؟ »

ـ « معلمة مدرسة ما .. تقول إنها تريد الكلام عن ماتيلدا .. »

وخفض صوت جهاز التلفزيون فصاحت زوجته :

ـ « لا تفعل يا هارى !! ويلارد سيطلب يد أنجليكا ! »

- « تابعى أثناء الكلام .. هذه معلمة ماتيلدا تزف لنا بعض الأخبار .. »

- « ما المشكلة إذن ؟ »

لم يدع أحد مس (هونى) للجلوس لذا انتقت مقعدًا وجلست .. وقالت :

- « هذا أول يوم لابنتكما فى المدرسة .. »

- « هل تجشمت عناء المجىء لتخبرينا بهذا ؟ »

نظرت مس هونى طويلاً للمرأة وأعطت نفسها وقتًا قبل الرد ، ثم قالت :

- « هل تريدين معرفة سبب مجيئى ؟.. ماتيلدا فى الصف الأول وبرغم هذا تقرأ وتكتب وتتعامل مع الأرقام .. تقول إن أحدًا لم يعلمها .. »

- « يعلمها ماذا ؟.. »

- « القراءة .. خطر لى أنك علمتها وأنها تكذب .. ربما كنتما قارئين نهمين .. الفتاة قرأت كتبًا مهمة وضخمة .. أردت أن أعرف إن كانت جاءت من أسرة تحب الأدب .. »

قال مستر ورموود :

ـ « نحن لا نحب القراءة .. لا يمكن أن تصـيرى ثرية بـالجلوس على مؤخرتك وقراءة الكتب .. نحن لا نحتفظ بهذه الأشياء فى البيت .. »

ـ « فهمت .. قد جئت لأخبركما أن ماتيلدا عبقرية ، لكن أحسبكما تعرفان هذا فعلاً .. »

ـ « نعرف أنها تقرأ .. »

ـ « لكن ألا يثير هذا دهشتكما ؟ فتاة صغيرة كهذه تقرأ هيمنجواى وديكنز ؟.. »

ـ « ليس بشكل خاص . أنا أمقت الفتيات المثقفات .. يجـب على الفتاة أن تكون جذابة لتظفـر بزوج .. الشكل أهم من العقل .. انظرى لنفسك يا مس (هونكى) .. أنت اخترت العقـل وأنـا اخترت الشكل .. »

نظرت مس هونى فى دهشة للمـرأة المكتنزة ذات الوجـه المتبرج الشحيم وسألتها :

ـ « ماذا تقولين ؟ »

ـ « أنا اخترت الشكل وأنت اخترت العقل .. من الرابح ؟.. أنا جميلة وبيتى جميل ولدى زوج نـاجح ، بينمـا أنـت تدرسـين ألـف باء لأطفال قذرين .. »

قال زوجها :

ـ « معك كل الحق يا قالب السكر .. »

قررت مس هونى أن عليها أن تتمالك أعصابها فقالت :

ـ « ليس هذا كل شىء .. ابنتكما عبقرية أرقام .. يمكنها إجـراء عمليات حسابية معقدة .. »

قال ورموود :

ـ « وما نفع هذا ما دام بوسعك شراء آلة حاسبة ؟ »

لم تستطع تصديق ما تسمعه .. كانت تعرف أن هناك آباء مـن هذا الطراز ، لكنها صدمت للقاء بعضهم فعلاً . قالت للأبوين :

ـ « مشكلة مـاتيلدا هى أنهـا تسبق صفهـا بكثير جدًا .. أنـا أؤمن أنها يمكـن أن تصل لمستوى الجامعة خـلال ثلاثـة أعوام بشرط أن تلقى التعليم المناسب .. »

صاحت الأم :

- « جامعة ؟.. من المجنون الذى يرغب فى دخول الجامعة ؟.. كلهم يتعلمون عادات سيئة هناك .. »

- « هذا غير صحيح .. لو أصابتك نوبة قلبية وطلبت طبيبًا فهو خريج جامعة .. لو رفع عليك أحدهم قضية بسبب بيع سيارة مغشوشة فلسوف تطلبين محاميًا من خريجى الجامعة .. على كل حال من الواضح أننا لن نتفق أبدًا .. »

ونهضت خارجة .. ورافقها الزوج للباب وقال :

- « جميل منك أن جئت يا مس (هوكس) .. »

- « ليس اسمى (هوكس) .. لكن .. أرجو أن تنسى الموضوع .. »

وانصرفت ..

قـذف المطـرقـة

الشيء اللطيف بصدد ماتيلدا هو أنك لو قابلتها وتكلمت معها لحسبتها مجرد طفلة عادية عمرها خمس سنوات ونصف . لم تبد قط أيـة علامـات علـى أنهـا عبقريـة . لـن تعرف أبدًا قوتها العقلية إلا لو بدأت تتناقش معها فى الأدب أو الرياضيات .

لذا استطاعت ماتيلدا أن تعقد صداقات ، وأحبها كل من فى صفها . عرفوا طبعًا أنها عبقرية لأنهم سمعوا مناقشاتها مع مس هونى فـى اليوم الأول . وعرفـوا أنهـا لا تتـابع الـدرس بل تقرأ فى كتب خاصة بها ، لكن الأطفال لا يهتمون بالأسباب .. هم مشغولون بأنفسهم عن التساؤل عما يحدث للآخرين .

من بين صديقاتها كانت لافندر . وقد اعتـادت الفتاتـان المشـى معًا فى الفسحة وساعة الغداء . كانت لافندر صغيرة الحجم لها شعر أسود مقصوص فى خط أفقى حول جبهتها ، ولهـا عينـان بنيتان عميقتان . كانت ماتيلدا تحبها لأنها جريئة مغامرة .

قبل نهاية أول أسبوع من الفصل الدراسى كثرت القصص عن المديرة . كانت الفتاتان تقفان فى الفناء حين دنت منهما فتاة فـى العاشرة لها دمل على أنفها ، واسمها (هورتنسيا) وقالت :

ـ « قذارة جديدة على ما أظن ؟.. مرحبًا بكما فى الإصلاحية ! »

وكانت تتكلم من ارتفاع عظيم ، وقد تعلمت الفتاتان بسبب حجمهما الصغير ألا تثقا بأى كائن أضخم منهما . كانت تلتهم رقائق البطاطس من كيس كبير ، تخرجه بقبضة مليئة . ظلت الصغيرتان صامتتين أمام هذا العملاق . وكانت رقائق البطاطس تتناثر على جانبى فمها كأنها الثلج .

ـ « هل قابلتما الترنشبول بعد ؟ »

ـ « رأيناها فى وقت الصلاة لكن لم نقابلها .. »

ـ « تنتظركما متع عظيمة .. هى تمقت الأطفال الصغار جدا .. تؤمن أن الصف الأول يضم يرقات لم تخرج منها الديدان بعد . لو ظللتما حيتين أول سنة فلربما تعيشان باقى سنى المدرسة هنا .. لكنى رأيت كثيرين يغادرون المدرسة على محفة وهم يصرخون .. »

لكن الفتاتين ظلتا صامتتين ، لذا قررت أن تضيف معلومات أخرى .

ـ « هل تعرفان أن الترنشبول عندها خزانة اسمها (الخنّاقة) ؟.. إنها خزانة عالية وضيقة جدًا .. لا يمكنك الجلوس أو اتخاذ وضع القرفصاء .. ثلاثة حوائط من الأسمنت الذى يبرز منه زجاج مهشم فليس بوسعك الاستناد عليها .. »

سألتها ماتيلدا :

ـ « ألا يمكن الاستناد إلى الباب ؟ »

ـ « بالطبع لا يمكن ذلك .. هناك مسامير عديدة تبرز من الباب .. لقد دقتها الترنشبول هناك .. أنا جربت الخنّاقة وقد حبست فيها يومًا كاملاً .. »

كانت تتكلم كأنها محارب قديم خاض الكثير من المعارك وصارت الشجاعة عادة عنده .

ـ « مرة أخرى كانت الترنشبول تدرس للصف السادس .. طلبتُ الذهاب للحمام ، لكن بدلاً من الذهاب هناك ، تسللت لغرفتها .. ووجدت درجًا تخفى فيه سراويل الجمباز الخاصة بها .. ».

سألتها ماتيلدا مبهورة :

ـ « وماذا حدث ؟ »

ـ « كنت قد ابتعت بودرة العفريت الفعالة تلك .. مكتوب عليها أنها صنعت من الأنياب المطحونة للثعابين الميتة .. خمسون قرشا للكيس .. رششت المسحوق على كل سراويلها ثم أعدت كل شيء لمكانه .. »

ـ « هل نجح ؟ »

ـ « بعد أيام بدأت تهرش كالمجانين .. كان من الممتع أن أجلس وأراقب عالمة أننى الشخص الوحيد فى العالم الذى يعرف ما يحدث فعلاً لها .. كنت أعرف أنه لا يمكن القبض على .. لابد أنها حسبت أن هناك عش دبابير فى سراويلها .. »

كانت ماتيلدا ولافندر مبهورتين .. لقد عرفتا أنهما أمام واحدة من السادة . هذه الفتاة بلغت بفن المقالب قمة الكمال . فجأة لم يعد الدمل على أنفها قبيحًا بل هو وسام شجاعة .

ـ « لكن كيف قبضت عليك ؟ »

ـ « لم تفعل .. لكنى قضيت يومًا فى (الخنَاقة) برغم هذا .. »

ـ « كيف ؟ »

ـ « الترنشبول لديها عادة سيئة هى التخمين .. عندما لا تعرف الفاعل تخمنه .. والمشكلة أنها تصيب غالبًا .. كنت المشتبه فيه ولم يكن هناك دليل ، لكن لا فارق هناك .. لم يفدنى الكذب .. جرتنى من أذنى إلى (الخنَاقة) وأغلقت الباب . هذه كانت مرتى الثانية .. »

ـ « هى كالحرب ! »

ـ « نعم هى حرب .. نحن الفرسان نقاتل من أجل حياتنا بلاسلاح .. بينما الترنشبول هى أمير الظلام .. الأفعوان الشرير .. التنين النارى .. هى حياة قاسية .. »

ـ « يمكنك الاعتماد علينا .. »

ـ « لا أستطيع .. أنتما جمبرى .. لكن من يدرى .. قد أكلفكما بمهمة سرية يومًا ما .. »

ـ « هل لديك قصص أخرى ؟ »

ـ « اسمعا هذا .. أمس أمسكت بصبى اسمه جوليوس روتونكل .. كان يمتص الربسوس أثناء الدرس فحملته من ذراع واحدة ، وأطارت به من النافذة .. رأيناه يطير كطبق طائر فوق الحديقة ويسقط وسط زرع الخص .. وقالت للصف : كل من أضبطه يأكل فى الصف سيطير من النافذة . لا تنسى أنها كانت بطلة بريطانيا فى رمى المطرقة ، وهى فخور بنفسها جدًا .. إنها تحب أن ترمى أى شىء خاصة الأطفال كى يظل ذراعها قويًا .. »

ـ « رباه ! »

ـ « سمعتها تقول : هذا الصبى ثقيل جدًا لذا هو مفيد فى التدريب .. »

هنا حدث شىء غريب .. دوت الصرخات فى الفناء ثم ساد صمت القبور . نظرت (ماتيلدا) و(لافندر) فرأيتا مس ترنشبول العملاقة تمشى وسط الأولاد . كأنها تشق أمواج البحر . وكانت تزأر :

ـ « أماندا ثريب !!! »

صرخت الفتاة :

ـ « ابقين قبعاتكن ! »

سألتها لافندر :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « تلك البلهاء أماندا تركت شعرها يطول .. وقد جمعته أمها لها على شكل ذيلى خنزير .. فكرة غبية جدًا .. »

ـ « ما الغبى هنا ؟ »

ـ « لو كانت مس ترنشبول تمقت شيئًا فهو عقص الشعر فى ذيل خنزير .. »

ورأت الفتاتان الوحش يتقدم نحو طفلة فى العاشرة لها ذيلا خنزير ذهبيان . كانت جميلة جدًا .. لكنها وقفت تراقب الوحش القادم

كأنها رجل فى حقل يرى ثورًا هائجًا يهجم عليه . التصقت بالأرض وعرفت أن يوم القيامة بالنسبة لها قد جاء ..

الآن دنت مس ترنشبول من الفتاة وأطلت عليها .. وقالت :

ـ « أريد التخلص من هذين الذيلين القذرين قبل أن تأتى غدًا .. أقطعيهما والقيهما فى القمامة .. مفهوم ؟ »

ـ « لـ .. لـ .. لكن أمى تحبهما وتصنعهما لى كل صباح ! »

ـ « أمك غبية !.. تبدين كفأر يخرج ذيله من رأسه ! »

وأشارت إلى رأس الفتاة بإصبع بحجم قالب البسطرمة . وأردفت :

ـ « لا أبالى لحظة برأى أمك .. »

ثم أمسكت بذيلى الحصان ورفعت الطفلة عن الأرض ، ثم راحت تدور بها حول نفسها مرارًا ومرارًا .. وأماندا تصرخ بلا توقف ..

قالت الفتاة هورتنسيا :

ـ « إنها تزيد سرعتها الآن كما فى رمى المطرقة .. من الواضح أنها ستتركها فجأة .. »

بالفعل طارت أماندا بسرعة كأنها صاروخ فوق السياج ، ثم ارتفعت نحو السماء . هبطت الفتاة فوق الأزهار المزروعة خارج المدرسة ثم جلست . وسرعان ما عادت تركض للمدرسة .

سألت ماتيلدا :

ـ « لكن ألا يشكو الآباء ؟ »

سألتها هورتنسيا :

ـ « هل يمكن أن يشكو أبواك ؟.. أبواى لن يفعلا فالجميع يخشاها حتى الموت .. سأراكما فيما بعد .. »

بروس والكعكة

سألت لافندر ماتيلدا :

ـ « كيف تنجو من هذا كله؟ .. بالتأكيد يعود الصبية للبيت ويخبرون أهلهم .. أنا موقنة أن أبى سيجن لو سمع أن المدير قرفعتنى من شعرى وألقتنى فوق السور .. »

قالت ماتيلدا :

ـ « لن يفعل ذلك لسبب بسيط .. لن يصدقك .. قصتك ستبدو سخيفة جدًا وهذا سر الترنشبول .. »

ـ « ما هو ؟ »

ـ « كونى كارثة لا توصف .. تأكدى من أن كل ما تفعلين مجنون لا يصدق .. لا ترتكبى أنصاف جرائم بل جرائم كاملة .. لا يوجد أب سيصدق قصة الشعر هذه .. أهلى لن يفعلوا .. »

ـ « هذا يعنى أن أماندا لن تقص ذيل الخنزير .. »

ـ « لن تفعل .. لكن أماندا سوف تفعل هذا بنفسها .. سترين .. إن التواجد فى هذه المدرسة يشبه البقاء فى قفص واحد مع ثعبان الكوبرا .. يجب أن تكونى يقظة جدًا .. »

جاء الدليل الثانى على الخطر ، عندما سمعوا فى اليـوم التـالى أنه على كل المدرسة الاتجاه لقاعة الاجتماعات .

جلس الـ 250 تلميذاً هنــاك .. ثـم ظهـرت مـس ترانشـبول إلـى المنصة ولم يكن أحد المعلمين معها . وقفت على المنصـة تنظر للوجوه المحملقة فيها وقد فتحت ساقيها وأمسكت بسوط صغير ..

- « ماذا سيحدث ؟ »

- « لا أعرف .. »

نبحت الترنشبول :

- « بروس بوجتروتر !! .. أين بروس بوجتروتر ؟ »

ارتفعت يد من بين التلاميذ فأمرته بأن يأتى .

ظهر صبى فى الحاديـة عشرة ، بديـن ضخـم ، ومشـى للأمـام وصعد للمنصة . فأمرته بأن يقف . كان يعرف بالتـأكيد أنهـا لـم تناده لإعطائه جائزة . كان وجهه المكتنز رمادى اللون وجوربـاه يتدليان على حذائه .

قالت وهى تشير بالسوط إليه :

ـ « هذه الجلطة البشرية .. هذا الدمل العفن .. هذه الثألولة السامة . ليس سوى لص مقزز .. عضو مافيا . ساكن العالم السفلى ! »

نظر لها الصبى غيرِ فاهمٍ فصاحت :

ـ « لص !.. نصاب !.. قاطع طريق !.. لص ماشية ! »

قال فى دهشة :

ـ « أنا ؟ »

ـ « هل تنكر هذا يا خراج اللثة ؟.. هل تدفع بالبراءة ؟ »

ـ « لا أعرف عما تتكلمين .. »

صاحت :

ـ « صباح أمس أيها الخراج الذى ينز الصديد تسللت كالأفعى للمطبخ وسرقت شريحة من كعكة الشيكولاته الخاص بى !.. أعدتها الطاهية لى .. وجبة إفطارى !.. هل حسبت للحظة أننى سآكل القاذورات التى أطعمها لكم ؟.. هذه الكعكة طهيت بزبد وقشدة حقيقيين ! وهذا اللص .. قاطع الطريق سرقها .. »

أبيض وجه الفتى وقال :

ـ « لم أفعل .. »

- « لا تكذب .. الطاهية رأتك تأخذها .. رأتك تأكلها ! »

فجأة صار صوتها أرق .. ثم انحنت على الصبى وقالت :

- « هل تحب الشيكولاته يا (بوجتروتر) ؟.. إنها لذيذة دسمة .. أليس كذلك ؟ »

- « جدًّا .. »

قالها قبل أن يدرك ما يقول ..

- « معك حق .. لذيذة جدًّا .. يمكك أن تهنئ الطاهية كأى جنتلمان .. لكن سكان العالم السفلى ليسوا معروفين بالرقى .. »

ثم صاحت :

- « أيتها الطاهية ! تعالى ! »

ونظرت للباب فدخلت الطاهية وهى امرأة نحيلة طويلة ، يبدو كأن كل عصارات جسمها جفت فى فرن .. وكانت ترتدى ميدعة قذرة .

- « قل لها رأيك فى الكعكة .. »

- « رائعة .. »

قالها الصبى وهو يتساءل عما يدبر لـه . فقط كـان يعرف أن القانون يمنع الترنشبول من ضربـه بالسوط الـذى تحملـه, وهـذا أراحه لكن ليس كثيرًا .. فهى امرأة لا يمكن التنبؤ بما تنويه .

ـ « هل عندك المزيد من الكعكة ؟ »

ـ « نعـم .. »

ـ « هاتها وهاتى سكينًا .. »

غابت الطاهية وسرعان ما عادت بكعكة عملاقة عاليـة مغطـاة بالشيكولاته . ووضعتها على المائدة .

أمرته (ترنشبول) :

ـ « اجلس على المنضدة يا (تروتبوجر) .. كلّها لك .. كل قضمة منها .. »

قال فى حيرة :

ـ « لا .. شكرًا .. »

ـ « أشكرها ولا تشكرنى .. »

ـ « شكرًا أيتها الطاهية .. »

وقفت الطاهية وقد زمت شفتيها ، وبدا كأن فمها ملىء بعصير الليمون .

ـ « الآن اقطع لنفسك شريحة وكلها .. »

ـ « الآن ؟.. هل لى أن آخذها للبيت ؟ »

قالت ضاحكة :

ـ « هذا سيكون قلة ذوق .. يجب أن تريها مدى امتنانك .. هلم !.. كل !.. ليس لدينا اليوم بأكمله .. »

نظر للكعكة ثم إلى ترنشبول .. وبدأ يدرك الفخ . كان الأطفال يراقبون المشهد فى فضول وتوتر .. ربما كانت الكعكة مليئة بالفلفل أو زيت الكستر أو أية مادة تسبب له الغثيان . ربما تنفجر فيه .

ـ « لا أريد .. »

ـ « كلها يا حشرة .. أنت تهين الطاهية .. »

بدأ الصبى يأكل .. فسألته المديرة :

ـ « لذيذة ؟ »

ـ « رائعة .. »

ـ « شريحة أخرى .. »

ـ « هذا كاف .. شكرًا .. »

ـ « قلت خذ شريحة أخرى !.. كُلْ !!!.. أنت أردت الكعك .. سرقت الكعك !.. الآن أعطيتك الكعك .. لن تنهض ولن ينهض مخلوق قبل أن تنهى هذه الكعكة"

قطع شريحة أخرى وبدأ يأكلها . هل ينجح فى ذلك ؟.. مستحيل .. سوف يصيبه الغثيان قبل أن ينهى نصفها .

ـ « كلْ !.. اللصوص الصغار الشرهون الذين يحبون الكعك يجب أن يأكلوا الكعك !.. كُلْ !.. لو توقفت لجررتك إلى (الخناقة) وأغلقت عليك الباب ورميت بالمفتاح فى البئر ! »

بدأ الصبى يأكل وإن لم تبد عليه علامات الضيق بعد .. وهمست ماتيلدا للافندر :

ـ « إنه على ما يرام .. »

ـ « سوف يقىء حالاً .. »

التهم الصبى نصف الكعكة وأخذ عدة أنفاس عميقة . وفجأة تجشأ بقوة فدوى الصوت كالرعد فى القاعة كلها .. وبدأ بعض الجلوس يضحكون .

لكن الصبى ظل متماسكًا وقطع لنفسه شريحة أخرى . هنا بدأ شعور عام يغمر الصبية الجالسين .. فى البدء شعروا بقدوم الكارثة ، وانتظروا لحظة أن يصرخ الصبى طالبًا الرحمة أمام (ترنشبول) المنتصرة ..

لكن هذا لم يحدث ، وشعر البعض بأنه يستمتع .. كان أمامه جبل يجب تسلقه وها هو ذا يقترب من القمة . وبدأ يدرك أن كثيرين يراقبونه وأن هذه معركة شخصية بينه والترنشبول .

فجأة هتف أحدهم :

ـ « هلم بروسى !.. بوسعك عمل ذلك ! »

استدارت لهم المرأة وصاحت :

ـ « الصمت !! »

لكنهم جميعًا شعروا بأن بروس بدأ يربح .. الترنشبول كذلك راح وجهها يحمر ويحمر .. بدا كأنها ستقتله لو نجح ..

كان الصبى يواصل قذف الكعك فى فمه . انتهت آخر قطعة فدوى التصفيق .. راح الصبية يصرخون ويقذفون المقاعد ..

وقفت الترنشبول صامتة ، وقد صار وجهها بلون الحمم الذائبة .. كان الصبى على المقعد يتنفس بصعوبة والعرق يغمر وجهه لكنه يضحك منتصرًا ..

رفعت الصحفة الصينية التى كانت عليها الكعكة وهوت على رأسه بكل قوتها ..

كان الصبى منتفخًا حتى صار ككيس ملئ بأسمنت مبتل ، ولم يكن بوسعك أن تؤذيه حتى بمطرقة . فقط هز رأسه ..

غادرت مس ترنشبول المنصة وهى تغلى تتبعها الطاهية .

لافنـــــدر

فى منتصف الأسبوع الأول ، قالت مس هونى للصف :

ـ « لدى أخبار مهمة لذا أصغوا لى .. ضعى هذا الكتاب يا ماتيلدا واصغى .. من دأب المديرة أن تأخذ الصف لفترة كل أسبوع .. مثلاً صفنا تأخذه الساعة الثانية بعد ظهر الأحد . غدًا سوف تأتى المس ترنشبول لحصة واحدة .. أنا سأكون موجودة لكن كشاهدة صامتة .. هل هذا مفهوم ؟ »

غرد الأطفال :

ـ « نعم يا مس هونى .. »

ـ « تحذير لكم .. هى دقيقة جدًا لذا لتكن ثيابكم نظيفة ، ولا تتكلموا إلا عندما تكلمكم .. لا تجادلوها .. سوف تثيرون غضبها ولو غضبت فعليكم أن تحترسوا .. سوف تسألكم عما أخذتموه هذا الأسبوع .. هذا جدول (2) لذا يجب أن تحفظوه وتسمعوه لأهلكم فى البيت .. يجب أن يكون هناك دورق وكوب ماء على المنضدة .. من يكون مسئولاً عن ذلك ؟ »

قالت لافندر :

ـ « أنا .. »

كانت قد وضعت خطة لأنها ترغب فى عمل شىء بطولى .. كانت معجبة بالفتاة (هورتنسيا) التى قامت بأعمال بطولية .. لقد جاء دورها لعمل شىء بطولى ..

فى طريقها للبيت كانت تقلب الأفكار ، وفى النهاية راحت تخطط كما فعل ولنجتون ضد بونابرت فى موقعة ووترلو .. لا أحد ينكر أن مديرة المدرسة أكثر خطرًا من القائد الفرنسى . ستخاطر كثيرًا جدًّا ولسوف يكون عليها التزام السرية لو أرادت أن تخرج حية .

كانت هناك بركة موحلة فى حديقتها وبها مستعمرة من السمندل(*) .. هذا حيوان يملأ البرك لكن من النادر أن تراه لأنه خجول .. هو قبيح جدًّا بشع الخلقة كأنه تمساح رضيع أخضر اللون برتقالى البطن .. عديم الضرر ..

ذهبت للبركة وقررت أن تصطاد سمندلاً .. ليس هذا سهلاً فهو سريع الحركة . استعملت قبعة المدرسة كشبكة واقتنصت واحدًا .. ثم وضعته فى صندوق الأقلام الذى فرشته بأعشاب البرك .. لقد صار لها . فتحت الغطاء قليلاً لتسمح له بالتنفس .

(*) حيوان بر مائى خليط من الضفدع والسحلية .

فى اليوم التالى حملت سلاحها للمدرسة وهى مضطربة من الانفعال . قررت ألا تخبر أحدًا حتى لا ينطق أحد باسمها حتى لو تعرض لأعتى تعذيب .

بعد غداء من البسلة والسجق ، اتجهت للمطبخ وبحثت عن دورق ماء ترنشبول . كان مصنوعا من الخزف الأزرق . ملأته بالماء ثم حملته مع كوب ماء إلى الصف على منضدة المدرس . فتحت علبة الأقلام وبحذر أفرغت السمندل فى الدورق ، فسمعت صوت (بلوب) وهو يهبط للقاع . تحرك بهياج بعض الوقت ثم استقر .. وضعت له بعض الأعشاب لتشعره بالألفة .

تم كل شىء .. عادت لمقعدها .. ثم لحقت بصديقاتها .

الاختبار الأسبوعى

فى الثانية انعقد الصف ومعه مس هونى . جلست فى الخلفية ، وانتظر الجميع . فجأة دخلت المديرة العملاقة . ونبحت :

ـ « عصرًا سعيدًا يا أطفال .. »

غردوا :

ـ « عصرًا سعيدًا .. »

وقفت أمام الصــف ترقبهم ثم قالت فى قرف كأنها ترى شيئًا قذرًا تركه كلب على سجادة :

ـ « ليس مشهدًا جميلاً .. يا لكم من مجموعة ثآليل مقرفة ! »

قرر الجميع الصمت . فقالت :

ـ « أريد أن أقيء لفكرة أن على تحمل قمامة مثلكم ستة أعوام .. أهلكم يخبرونكم أنكم رائعون وأنا هنا أخبركم بالعكس .. »

وراحت تنفخ من أنفها .. نفس الصوت الذى تسمعه لو مشيت فى أسطبل خيول .

- « قيـام !.. افـرد يديك أمامـك وسـوف أمـر لأرى إن كانتا نظيفتين .. »

بعد التفتيش قالت :

- « سـوف اختبـر الصـف فى جدول الضـرب لأرى إن كانت مس هونى قد علمتكم أى شىء .. »

وراحت تتفقد الأطفال بعينيها الشيطانيتين ، ثم صاحت :

- « أنت !.. ما حاصل 7 X 2 ؟ »

قال الصبى الذى كان يدعى روبرت :

- « 16 .. »

مشـت نحـوه بخطـوات واثقـة كنمـرة تـتربص بغـزال صغـير ، فاستشعر الصبى إشارات الخطر وحاول ثانية :

- « 18 .. 18 .. »

انفجرت فيه :

- « أيتها العلقة الجاهلة !.. لماذا تزوجت كل هاته النسوة ؟.. أيها الفأر الخالى من العقل !.. يا كرة الصمغ الغبية !.. »

كانت الآن تقف خلفه فمدت كفًا بحجم مضرب التنس وأمسكت بشعره . كانت أمه تحب شعره وتجعله طويلاً .. وكانت الترنشبول تكره الشعر الطويل على الصبية فعلاً . مدت يدها ورفعت الصبى من شعره وأبقته كذلك .

صرخ الصبى وراح يركل ويصرخ بينما قالت الترنشبول :

ـ « 14 .. 7 X 2 = 14 .. لن أتركك حتى تقولها ! »

من مؤخرة الصف صاحت مس هونى :

ـ « مس ترنشبول .. أرجو أن تنزليه .. قد يخرج شعره فى يدك .. »

كان يتملص كسمكة فى نهاية صنارة .. بينما المرأة العملاقة تأمره :

ـ « قلها .. وإلا رحت أهزك حتى أنتزع شعرك ولسوف يكون كافيًا لتنجيد أريكة !.. »

ـ « 14 ... 14 .. »

أطلقت سراحه وكان على ارتفاع عال عن الأرض ، فهوى كأنه كرة ..

التلاميذ كانوا منومين مغناطيسيًا .. فلم ير أحدهم شيئًا كهذا من قبل . قنبلة بشرية عملاقة توشك على الانفجار فيهم .. قالت المديرة :

ـ « أنا لا أحب الأطفال .. لا يجب أن يراهم أحد .. يجب حفظهم فى صناديق .. لا أعرف لماذا يأخذون كـل هذا الوقت لينمـوا .. أحسبهم يتعمدون هذا .. »

ثم أضافت وهى تعود لمكانها :

ـ « هكذا يكون التعليم يا مس هونى .. يجب أن تدقـى المعلومـة فى عقولهم ولا تكتفى بذكرها .. هكذا لـن ينسوها أبدًا .. اسحبيهم من آذانهم فقد علمتنى الخبرة أن آذان الصبية لا تخرج فـى يدك أبدًا كأنها ملتصقة بأجسادهم .. كل ما هنالك أنها تستطيل قليلاً .. »

هنا التقت عيناها بماتيلدا فسألتها :

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « ماتيلدا ورموود .. »

ـ « ابنة تاجر السيارات المستعملة ؟.. إنه نصاب !.. لقد باعنى سيارة منـذ أسبوع وقـال إنهـاجديدة .. اليوم وأنـا أقودهـا سقط صندوق السرعات على الأرض .. كان قد مـلأه بنشـارة الخشب !.. النصاب !.. سوف أسلخه وأصنع من جلده سجقًا ! »

قالت ماتيلدا :

ـ « هو بارع فى مهنته .. »

ـ « بارع ؟! .. مس هونى تقول إنك بارعة كذلك !.. أنا لا أحب البارعين يا آنسة .. كلهم نصابون . قبل أن أكتشف معدن أبيك حكى لى عن سلوكك المعيب فى البيت .. لكن لا تحاولى شيئاً فى هذه المدرسة يا آنسة لأننى أراقبك بعناية ! »

المعجـزة الأولى

جلست الترنشبول فى مقعد المعلـم للمـرة الأولـى . مـدت يدهـا وتناولت دورق الماء وقالت :

- « لا أفهم أبـدًا لمـاذا يثـير الأطفـال الغثيـان لهذه الدرجـة .. إنهم آفة حياتى .. كالحشرات .. يجب الخلاص منهـم بسـرعة .. أتمنى اختراع سبراى يقتل الأطفال كما نفعل مـع الذبـاب .. أحلـم بدخول الصف بعلبة سبراى كبيرة أرشها عليكم وينتهى الأمر .. »

قالت مس هونى :

- « لو كانت هذه نكتة يا سيدتى فهى ليست مضحكة .. »

- « ليست نكتة .. فكرتى عن المدرسـة الطيبـة هـى المدرسـة التى ليس فيها أطفال .. يومًا ما سأبدأ مدرسة كهذه .. »

فكرت مس (هونى) : المرأة مجنونة تمامًا .. يجب الخــلاص منها .

رفعت الترنشبول الدورق وصبت بعض الماء فى الكوب ، هنـا سقط السمندل الصغير مع الماء . بلوب !

أطلقت المرأة صرخة ووثبت من مقعدها كأنما اشتعلت فيه النار . رأى الأطفال الشيء الأصفر الشبيه بالسحلية يلعب خلف الزجاج .

- « ما هذا ؟.. إنه مقزز .. هل هو ثعبان ؟.. تمساح صغير ؟ »

صاحت لافندر :

- « احترسى يا مس ترنشبول .. اعتقد أنه يعض .. »

راحت المرأة ترتجف كالمهلبية . كانت مغتاظة لأن هذا المقلب جعلها تصرخ وتثب وهى الفخور بثباتها . لم تكن قد رأت سمندلاً من قبل . لم تعرف ما هو قط فالتاريخ الطبيعى لم يكن قط من نقاطها القوية . كانت نيران الحقد ترقص فى عينيها الصغيرتين السوداوين .

صرخت :

- « ماتيلدا !.. قفى ! »

سألتها الفتاة :

- « أنا ؟.. ماذا فعلت ؟ »

- « قفى أيها الصرصور المقرف! »

- « لكنى لم أفعل شيئًا يا سيدتى .. »

كانت لافندر خلفها تشعر بالذنب .. لكنها كذلك لم تكن لتعترف أبـدًا ..

صاحت الترنشبول :

- « سوف أتأكد من طردك من المدرسة بمضـارب الهوكـى .. سوف أتأكد من أن تمضى أربعين عامًا على الأقل فـى إصلاحيـة للبنات اللقيطات ! »

صار وجهها كالمسلوق ، وراح الزبد يخرج من جانبى فمهـا . لكنها لم تكن الغاضبة الوحيدة .. ماتيلدا كذلـك بـدأت تـرى الدنيـا باللـون الأحمـر .. تجـربة جديدة بالنسبة لهـا أن تتهم بشىء لـم تفعله .. لا علاقة لها بهذا الكائن فى الكوب .

صاحت :

- « لم أفعل ! »

صاحت المرأة كالمجنونة وقد فقدت التحكم فى نفسها تمامًا .

- « بل فعلت .. كان أبوك محقًـا عندمـا أنذرنـى .. لقـد انتهـى الأمـر لـك .. سـوف أتـاكد مـن وضعك فـى مكـان لا تقـدر حتـى الغربان على أن تلقى فضلاتها عليك فيه !.. لن ترى النور ثانية ! »

ـ « وأنا أقول لك لم أفعل ! »

ـ « أنت وضعت تمساحًا فى مائى !.. اجلسى !.. اجلسى ! »

ـ « لكنى أقول لك .. »

ـ « آمرك بأن تجلسى وتخرسى .. لو لم تفعلى لنزعت حزامى وأعطيتك علقة .. »

جلست ماتيلدا شاعرة بالغيظ .. أكثر .. فأكثر .. حتى شعرت بأنها ستنفجر ما لم تفعل شيئًا ..

كان السمندل يسبح فى الماء . الكوب كان ضيقًا عليه .. راحت ماتيلدا ترمق الكوب .. تحلم بأن تحمل الكوب وتفرغه على رأس الترنشبول .

الترنشبول كانت جالسة فى مقعدها ترمق السمندل فى رعب .. عينا ماتيلدا على الزجاج . فجأة شعرت بشعور غريب .. كأن كهرباء غامضة تسرى فيها .. عيناها تسخنان .. بدأت القوى تتراكم .. تمس الزجاج ..

رأت الكوب يهتز .. يميل للخلف ثم اعتدل ..

واصلت دفعه بذهنها ..

ـ « انقلب ! »

الكوب يرجع للخلف ويميل بحيث لم يعد يستند إلا علـى طرف منه . ثم انفجر المـاء فى وجـه مس ترنشبول . أطلقت المرأة صرخة حادة لابد أنها حطمت كل نوافذ البناية وطارت من المقعد .. تمسك السمندل بصدرها بأرجلـه الدقيقـة ذات المخـالب . نظرت لأسفل فرأته .. فصرخت ثم بضربة من يدها قذفت الكائن عبر الغرفة . نزل جوار قدم لافندر فالتقطته بخفة ووضعته فـى علبـة الأقلام . إن السمندل شيء مفيد .

كانت الترنشبول تقف أمام الصف وقد غرق صدرها العمـلاق بالماء ، وكانت تصرخ :

ـ « من فعل هذا ؟.. من دفع هذا الكوب ؟ »

لم يجب أحد وظلت الغرفة صامتة كالقبر .

صاحت :

ـ « ماتيلدا !.. هذه أنت !.. أعرف أنك من فعل هذا ! »

لم تقل ماتيلدا شيئًا .. غمرها شـعور بالسـلام والثقـة حتـى لم تعد تخشى أحدًا فى العالم . لقد قلبت الكوب على المديرة بعينيهـا .. إنها قادرة على أى شيء آخر .

قالت بثقة :

ـ « أنا لم أبرح مكانى يا سيدتى .. الكل يرى هذا .. »

فجأة ثار الصف كله :

ـ « هى لم تتحرك .. لم يتحرك أحد .. »

صاحت المرأة :

ـ « تكلمى يا مس هونى . من فعل هذا ؟ »

ـ « لا أحد يا سيدتى .. كنت سأشهد لو تحرك أى تلميذ .. »

ـ « أنا قد بلغت روحى الحلقوم من مجموعة الأقزام هذه .. لن أضيع وقى الثمين هنا .. »

وغادرت الصف وصفقت الباب خلفها .

مشت هونى لمقدمة الصف وقالت : « ف ف !.. أعتقد أننا اكتفينا من المدرسة اليوم .. لينصرف الفصل .. يمكنكم الذهاب للفناء وانتظار أولياء الأمور .. »

المعجزة الثانية

لم تتعجـل مـاتيلدا مغـادرة الصـف . ظلت فـى مقعدهـا صامتـة تفكر . كان عليهـا أن تخبـر أحـدًا بقصـة الكـوب .. لا يمكنهـا أن تبقى الأمر سرًا . تحتـاج لشخص كبير عاقل تثق به .. لا يمكنها أن تخبر أبويها ، لذا فكرت فى مس هونى .

لم يبق فى الصف سواها ومس هونى . كانت المعلمـة جالسـة تراجع بعض الأوراق. فسألتها :

ـ « ماتيلدا .. ألن تنصرفى ؟ »

ـ « هل لى أن أكلمك لحظة ؟ »

ـ « بالطبع .. »

ـ « شىء غريب قد حدث لى .. »

منذ قابلت أبويها استحوذت ماتيلدا على تفكيرها بشدة ، وكانت تفكر كيف تساعدها . لم ترها من قبل جادة ومتسعة العينين هكذا .

ـ « أنت رأيت الكوب الذى كان السمندل فيه .. أليس كذلك ؟.. لم ألمسه قط .. »

ـ « أعرف ذلك وسمعتنى أقول لها إنه من المستحيل أن تكونى أنت .. »

ـ « فى الحقيقة كنت أنا يا مس هونى .. »

نظرت لها فى حيرة وقالت :

ـ « أخشى أننى لا أستطيع أن أتابع ما تقولين .. »

ـ « غضبت لاتهامى بشىء لم أقترفه لذا حدث هذا .. جعلت الكوب ينقلب .. »

ـ « ما زلت لا أفهمك .. »

ـ « تمنيت هذا بقوة .. عندها شعرت بعينى تسخنان وانقلب الكوب .. »

ظلت مس هونى تنظر فى عينى ماتيلدا ، لكن الأخيرة بادلتها النظرات بثبات . ساد الصمت لكنها لم تتوقع أن تكذب ماتيلدا .. فقط هى تطلق العنان لخيالها :

ـ « هل تعنين أنك من مكانك أمرت الكوب بأن ينقلب ففعل ؟ »

ـ « بالضبط .. »

ـ « إذن هى أكبر معجزة قام بها إنسان منذ عهد المسيح .. »

ـ « فعلت ذلك يا مس هونى .. »

ـ « هل يمكنك عمل ذلك ثانية ؟ »

ـ « ربما .. »

وضعت مس هونى الكأس أمامها وقالت لماتيلدا :

ـ « هل أملؤه بالماء ؟ »

ـ « لا أحسب هذا يهم .. »

ـ « إذن اقلبيه .. »

ـ « هذا قد يحتاج لوقت .. »

جلست ماتيلدا وضغطت على وجهها وراحت تركز . صرخت داخل رأسها آمرة الكوب بأن ينقلب .. شعرت بالسخونة والحرارة فى عينيها .. ثم شعرت بملايين الأذرع الدقيقة غير المرئية تندفع نحو الكوب .. رأته يميل ثم يتدحرج جوار يد مس هونى .

سقط فك مس هونى واتسعت عيناها حتى صار البياض يحيط بالقرنية . لم تقل كلمة . لقد أخرستها رؤية هذه المعجزة تتم . ابتعدت عن الكوب كأنه شىء خطر ، ثم رفعت رأسها نحو ماتيلدا . كانت الفتاة بيضاء كورقة .. ترتجف متبدلة الوجه .. لا تتكلم .

ظلت مس هونى ترتجف هى نفسها وهى تعود للحياة ببطء .. وقالت للطفلة :

ـ « كنت بعيدة جدًا .. »

ـ « كنت كذلك .. كنت أطير بين النجوم بأجنحة من فضة .. »

راحت مس هونى تنظر للطفلة فى عجب كأنها الخلق .. ميلاد النهار .. أغمضت عينيها وهتفت :

ـ « هذا مستحيل .. لا اصدق .. مستحيل .. هل لك أن تأتى لكوخى لشرب الشاى معى ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

ـ « اجمعى حاجياتك وقابلينى بعد قليل .. »

ـ « لا تخبرى أحدًا بما رأيت يا مس هونى .. »

كـوخ مس هونى

مشت ماتيلدا مع مس هونى عبر شوارع القرية ، وقد استبدت بها حيويــة شديدة . إنهـا قـادرة على تحريك أى شـىء .. فقط تركز بقوة حتى توشك عيناها على الاحتراق ..

فقط اهدئى يا صغيرتى .. اهدئى ..

ـ « ولماذا يا آنسة ؟ »

ـ « لأننـا نلعب بقوى غامضـة يـا صغيرتى .. لا نعـرف أى شىء عنها .. لا أحسبها شريرة ، ولربمـا كـانت خيرة .. دعينـا نكن حذرين فالوصف الدقيق لهذا هو (ظـاهرة) .. نحـن نتعـامل مع (ظاهرة) .. »

ـ « أنا ظاهرة ؟ »

ـ « أعتقد هذا .. علينـا الاستكشـاف .. نحـن فقط .. لنتعـامل بحـذر .. أريـد أن أعرف إن كـانت هذه القدرة تـأتى من قوتـك العقلية ؟ »

ـ « هل تعنين أن رأسى لا يتسع لهذا العقل ، لـذا يبرز شـىء ما بالخارج ؟ »

- « ليس هذا ما قصدته .. أعنى أن علينا أن نكون حذرين .. »

على يسار الطريق كانت بوابة صغيرة فقالت مس هونى :

- « من هنا .. »

وفتحت البوابة واقتادت ماتيلدا وأغلقتها . لم تكن ماتيلدا قد فكرت من قبل فى سكنى مس هونى .. كانت تتعامل معها كمعلمة .. شخص يأتى من لا مكان ويدرس فى المدرسة ثم يختفى .. لم يسأل أى تلميذ نفسه من قبل أين يذهب المدرسون بعد ساعات الدراسة . هل لهم أم أو أخت ؟

- « هل تعيشين وحدك يا مس هونى ؟ »

- « نعم .. جدًا .. »

وأردفت :

- « هو مجرد كوخ لعمال المزرعة .. لا تتوقعى الكثير .. »

فى النهاية بلغنا بوابة تحيط بها النباتات ، فرأت ماتيلدا ممرًا ترابيًا ضيقًا يقود إلى كوخ من قرميد أحمر . كان صغيرًا أقرب لبيت دمية . كان له سقف اردوازى ومدخنة صغيرة ونافذتان . هناك شجرة بلوط عملاقة تبدو كأنها تحمى الكوخ من العالم الخارجى . بدا لماتيلدا المكان خياليًا لا علاقة له بالعالم الخارجى ..

كأنه رسم فى قصص الأخوين (جريم) أو (هانس أندرسـون) . بيت ذات الرداء الأحمر أو بيت الأقزام السبعة .

فتحت باب الكوخ ودخلت .. قالت مس هونى لماتيلدا :

ـ « تعالى نعد الشاى معًا .. »

ومشت فى شىء يشبه النفق نحو المطبخ . لـم يكـن حجمـه أكبر من خزانـة ثياب واسعة .. هنـاك خزانـة ورف لإعداد الطعام . هناك موقد (بريموس)(*) ونصف زجاجة لبن .

ـ « يمكنك إحضار بعض الماء إلى أن أوقد البريموس .. البئر خلف الكوخ .. خذى الدلو . هناك حبـل فـى البـئر لتربطى الدلـو بطرفه .. لكن حاولى ألا تقعى .. »

أخـذت مـاتيلدا التـى بـدأت تجـد الأمـر مسـليًا الدلـو وخرجـت للحديقة الخلفية . ربطت الدلو به ودلت به للبـئر . عـادت بـالدلو الملئ لمس هونى :

ـ « هل هذا كاف ؟ »

ـ « كاف .. طبعًا لم تفعلى هذا من قبل .. »

ـ « بالطبع لا .. لكن كيف تجدين ماء كافيًا للمغطس ؟ »

(*) وابور جاز كما نعرفه نحن !!

ـ « لا استحم فى مغطس .. أستحم واقفة .. أملأ دلـوًا بالماء واسخنه ثم أسكب المـاء علـى نفسـى .. هكـذا يفعل كل شـخص فقير فى إنجلترا .. »

ـ « هل أنت فقيرة يا مس هونى ؟ »

ـ « نعم .. هذا الموقد رائع .. أليس كذلك ؟ »

كان موقد البريموس يلتهب بلهب أزرق بينما بـدأ المـاء يغلـى بـالفعل . أحضـرت البـراد ووضعـت فيـه المـاء وبـراد الشـاى ثـم جلبت رغيفًا أسمر فقطعته نصفين ، وبالسكين دهنته بالسمن .

سمن ؟.. فكرت ماتيلدا .. لابد أنها فقيرة فعلاً .

وضعت مس هونى كل هذا أمام ماتيلدا وقالت لها :

ـ « أنا آسفة فليس لدى سكر .. »

لم تعلق ماتيلدا لأنها شعرت بحساسية الموقف ..

ـ « تعالى نشربه فى غرفة الجلوس .. »

كانت غرفة الجلوس تلك مربعًا صغيرًا يشبه الزنزانة .. هنـاك نافذة لكن بلا ستائر . هناك صندوقان يعملان كمقعدين . لا صور والسقف منخفض والجدران بيضـاء لكن اللـون الأبيض لا يبـدو

كطلاء . كان هذا من (الجير) الرخيص الذى يستعمل فى اسطبلات الخيول .

أصيبت ماتيلدا بالذهول .. إذن هنا تعيش مدرستها الأنيقة الرقيقة . هل هذا ما تعود له بعد يوم من العمل المرهق ؟.. هذا لا يصدق .. هناك شىء غريب هنا ..

ـ « تفضلى يا عزيزتى .. شريحتا الخبز لك .. أنا لا آكل فى البيت أبدًا لأننى آكل فى المدرسة . هذا يبقينى شبعانة حتى الغد .. »

جلست ماتيلدا على صندوق وتناولت شريحة مغطاة بالسمن على سبيل التهذيب . فى البيت كانت تأكل التوست بالزبد ومربى الفراولة وربما بعض الكعك الإسفنجى . لكن هناك سرًا فى هذا البيت .. سرًا كبيرًا ..

صبت مس هونى الشاى وأضافت له القليل من اللبن . لم تبد متضايقة من الجلوس على صندوق وشرب الشاى فى قدح لا يتزن على ركبتها . قالت لماتيلدا :

ـ « علينا أن نعرف حدود قوتك .. أنت تعتقدين أن بوسعك تحريك أى شىء لكن على قدر علمى لابد من حد ما .. »

ـ « أتمنى أن أجرب حظى مع شىء عملاق .. »

حكاية مس هونى

سألت ماتيلدا :

ـ « مس هونى .. هل لا يدفعون لك مالاً كافيًا فى المدرسة ؟ »

ـ « ليس سيئًا .. أنا أقبض ما يقبضه الآخرون .. »

ـ « لكن لابد أنه قليل ما دمت بهذا الفقر .. هل كل المدرسين يعيشون هكذا بلا أثاث ولا مطبخ ولا حمام ؟ »

ـ « لا .. أنا استثناء .. »

ـ « هذا يجعل تنظيف البيت أسهل .. لا تلمعين الأثاث ولا كل الأشياء السخيفة التى يتراكم فوقها الغبار .. ومن دون ثلاجة ليس عليك الخروج لشراء عشرات الأشياء التى لا تحتاجين لها لملء الأرفف .. »

لاحظت ماتيلدا أن وجه مس هونى تغير واربد .. زمت شفتيها وأمسكت بكوب الشاى بكلتا يديها متأهبة للرد على هذه الأسئلة غير البريئة جدًّا . لقد تغير الجو فى الغرفة الصغيرة بسرعة وساد جو من الارتباك والتوتر . قالت ماتيلدا :

ـ « آسفة .. لم يكن هذا شأنى .. »

قالت مس هونى :

ـ « ولم لا تسألين . ؟ . كان يجب أن تسألى فى النهاية فـأنت ذكيـة جدًا .. ربمـا دعوتـك هنـا لـذات السبب فـأنت أول شـخص يزورنى منذ عامين ..

"أنت أحكم بكثير من سنك يا ماتيلدا .. هذا يذهلنـى .. لا أقـدر على أن أعتبرك طفلة ، بل أنت طفلة ناضجة لو كان لى أن أقـول هذا .. لا أقدر على الكلام مـع أحـد عن مشـاكلى .. ليست لـدى الشجاعة ولا أقدر على مواجهة الحرج .. لقد فقدت أية شـجاعة لدى وأنا صغيرة .. أنت فتاة صغيرة لكن هناك سحرًا فيك .. »

تنبهت ماتيلدا .. كانت معلمتها تطلب العون منها .. هذا مؤكد ..

صبت مس هونى المزيد من الشاى وأضافت اللبن ، ثم أمسكت كوبها بيديها وقالت :

ـ « أنا فى الثالثة والعشرين .. كان أبـى طبيبًا فـى هذه القريـة ، وكان لدينا بيت جميل كبير .. هناك خلف الغابـة .. لقد ولـدت هنـاك ثم حلت أول مأساة عندما ماتت أمى وأنا فـى الثانيـة . كـان أبـى مشغولاً واحتاج لمن يعنى بالبيت وبى لذا دعـا شـقيقة أمـى غير المتزوجة .. خالتى .. فوافقت .. كانت فى الثلاثين لكنى كرهتهـا

من أول لحظة .. لم تكن خالتى امرأة طيبة . لم يعرف أبى هذا لأنه لايعود للبيت تقريبًا .. عندما يعود للبيت كانت تتصرف بشكل مختلف .. »

ثم صمتت وصبت لنفسها بعض الشاى وأردفت :

ـ « جاءت المأساة الثانية عندما مات أبى وأنا فى الخامسة .. مات فجأة .. صرت وحدى مع خالتى .. صارت الوصية على .. لها كل سيطرة الأب على وصارت مالكة البيت .. »

ـ « كيف مات أبوك ؟ »

ـ « كنت صغيرة وقتها فلم أسأل .. فيما بعد وجدت أن موته محاط بالغموض .. لم يصدق أحد أن يفعل شيئًا كهذا .. »

ـ « يصدق ماذا ؟ »

ـ « أنه قتل نفسه .. »

ـ « حقًا ؟ »

ـ « هكذا بدا الأمر .. لكن من يعرف ؟... »

هنا قالت ماتيلدا :

ـ « أعرف ما تفكرين فيه .. أن خالتك هى من قتله .. »

ـ « لم أعد أفكر .. لا جدوى من التفكير من دون دلائل .. »

كانت يداها ترتجفان على الكوب .. سألت ماتيلدا :

ـ « وبعد ذلك ؟.. ماذا حدث عندما صرت وحدك مع الخالة ؟ »

ـ « كانت شيطانًا .. صارت رعبًا حقيقيًا .. صارت حياتى كابوسًا .. »

ـ « ماذا فعلت ؟ »

ـ « لن أحكى .. فقط بدأت أرتجف كلما جاءت البيت .. أنا لم أكن قط شخصية قوية مثلك .. كنت خجولاً انعزالية .. »

ـ « ولم يكن لك أقارب آخرون ؟ »

ـ « لا .. ذهبت بعد ذلك للمدرسة التى أنت فيها .. يجب أن تفهمى أننى مع مرور الزمن ازددت جبنًا وصرت ألبى أى نداء لخالتى .. كنت أغسل وأكوى الثياب لها كأننى عبدتها .. كنت أعيش فى ذعر .. كنت تلميذة متفوقة وكان بوسعى أن أدخل الجامعة لكنها لم تسمح لى لأنها كانت بحاجة لى فى العمل .. التحقت بمركز تدريب المعلمات .. لن تعرفى أبدًا شعور أن تجدى نفسك مقهورة بالكامل بشخصية قوية كهذه .. أن تتحولى إلى (جيلى) .. »

ـ « وكيف هربت منها لتعيشى فى هذا البيت الطريف ؟ »

ـ « هذه قصة مهمة .. عندما صرت معلمة قالت إننى مدينة لها بالكثير من المال لأنها كانت تطعمنى وتبتاع لى الثياب طيلة تلك السنين .. قالت إن هذا يقدر بآلاف الجنيهات وسوف يكون على سداده بأن أعطيها راتبى لمدة عشر سنوات .. سوف تعطينى جنيهًا فقط كل اسبوع ، ورتبت مع المدرسة أن تحول راتبى لحسابها فى المصرف ، وأرغمتنى على توقيع الأوراق .. »

ـ « لكن راتبك كان فرصتك فى الحرية .. وكيف هربت بعد هذا ؟ »

ـ « آه .. هذا كان أهم نصر لى فى حياتى .. تم منذ عامين .. كنت أنهض فى الصباح بينما خالتى نائمة ، وذات صباح وجدت هذا الكوخ .. كان مالكه السابق فلاحًا فذهبت للقائه وهو يحلب أبقاره . لكنه دهش وقال إنه من المستحيل أن أعيش فيه .. لا كهرباء .. لا مياه جارية .. لا شىء .. لكننى كنت مصرة فأنا رومانسية وقد وقعت فى حب الكوخ . فى النهاية وافق مقابل عشرة بنسات فى الأسبوع .. وعدت لخالتى وبإرادة من حديد طهوت عشاءها ذات ليلة ، ثم ملأت الصندوق بحاجياتى وعدت لها وقلت : أنا استأجرت بيتًا .. هنا انفجرت صارخة فى : كيف

تجدين بيتًا وأنت تأخذين جنيهًا فقط فى الأسبوع ؟ . قلت لهـا : هذا ما فعلته . عندها أطلقت سراحى .. أخيرًا تحررت .. »

ـ « وهل استطعت الحياة عامين بجنيه فى الأسبوع ؟ »

ـ « نعـم .. عشـرة للكـوخ والبـاقى للموقد والسمن واللبن والشاى .. »

ـ « لابد أن الشتاء يكون قاسيًا هنا .. »

ـ « أوقد الموقد .. لن تتصورى الدفء الذى يبعثه من حوله »

الآن فقط ترى ماتيلدا الموقف بوضوح . مس هونى بحاجة شديدة للعون ..

ـ « لكن بوسعك أن تستقيلى وتأخذى معاش البطالة .. »

ـ « لن أفعل .. فأنا أحب التدريس فعلاً .. »

ـ « وهذه الخالة الشنيعة .. ما زالت تعيش فى بيتك ؟ »

ـ « نعم .. هى فى الخمسين .. أمامها عمر طويل .. »

ـ « وأنت متأكدة من أن الوصية الخاصة بأبيك تعطيك البيت ؟ »

ـ « وصية أبى لم يجدها أحد قط .. هناك من دمرها .. »

ـ « لا جوائز لمن يخمن الفاعل لكن قانونًا بلا وصية يذهب البيت لك .. »

ـ « أعرف هذا .. لكن خالتى لديها ورقة تزعم أن أبى كتبها يمنح بها البيت لخالتى من أجل عنايتها بى .. هى مزورة طبعًا لكن لا أحد يمكنه إثبات هذا .. »

ـ « هناك محامون يمكنهم إثبات ذلك .. »

ـ « لا مال لدى كى أستأجر محاميًا .. تذكرى أن خالتى محترمة فى المجتمع ونفوذها قوى .. »

ـ « من هى ؟ »

ترددت قليلاً ثم قالت بنعومة :

ـ « مس ترنشبول ! »

الأســــــماء

صرخت ماتيلدا :

- « مس ترنشبول .. هى خالتك ؟.. هى من قام بتربيتك ؟ »

- « نعم .. »

- « فهمت سبب ذعرك .. لقد رأيناها تمسك بفتاة من شعرها وترمى بها فوق سور المدرسة .. »

- « لم ترى شيئًا بعد !.. فى سن الخامسة كانت تجعلنى أحمم نفسى ، فلو وجدت أننى لم أستحم جيدًا كانت تدفع رأسى تحت الماء وتبقيه هناك . لا تدعينى أحكى لك ما تفعله بى .. لقد جئنا هنا كى نتحدث عن تلك الظاهرة الغريبة التى تمارسينها بعينيك .. ما رأيك لو جربنا بعض التجارب الحذرة ؟ »

للغرابة قالت ماتيلدا :

- « أفضل ألا أفعل ذلك الآن يا مس هونى .. أريد أن أعود للبيت وأفكر فيما حكيته لى .. »

- « نعم .. لابد أن أمك قلقة عليك .. »

ابتسمت ماتيلدا وقالت :

- « هى لا تقلق أبدًا .. لكنى فعلاً راغبة فى العودة لو سمحت لى .. »

- « تعالى إذن .. آسفة لأننى أفسدت لك الشاى .. »

مشيتا فى صمت عميق نحو بيت ماتيلدا . فلما وصلا قالت مس هونى :

- « لربما كان من الأوفق أن تنسى كل ما قلت لك .. »

- « لا أعد بهذا لكن أعد بألا أخبر به مخلوقًا .. لكن على أن أسألك ثلاثة أسئلة .. »

ابتسمت مس هونى وهى تدرك كيف أن هذه الطفلة الصغيرة بحجم القصقوصة يبدو أنها تدير زمام الأمر . وقالت :

- « هذا يتوقف على الأسئلة .. »

- « السؤال الأول هو : ماذا كانت مس ترنشبول تنادى أباك فى البيت ؟ »

- « ماجنوس .. هذا اسمه الأول .. »

- « وماذا كان يسميها ؟ »

- « أجاثا .. »

- « وماذا كان أبوك يطلق عليك ؟ »

- « جينى .. »

راحت ماتيلدا تردد الثلاث الكلمات مرارًا ..

لم تدر مس هونى ما تدبره الطفلة فى ذهنها .. وقالت لها :

- « لا ترتكبى حماقة ما .. »

ضحكت ماتيلدا واتجهت لباب بيتها ، وصاحت :

- « إلى اللقاء يا مس هونى .. شكرًا على الشاى .. »

التـدريـب

وجدت ماتيلدا البيت خاليًا كالعادة . أبوها لم يعد بعد وأمها ما زالت فى لعب البينجو .. اتجهت إلى حيث تعرف أن أباها يضع السيجار فحملت واحدًا لغرفة نومها وأغلقت الباب .

الآن إلى التدريب . سيكون الأمر صعبًا لكن على القيام به .

كانت الآن قد أعدت كل شىء .. خطة مساعدة مس هونى كاملة وواضحة فى ذهنها ، لكن عليها أن تسيطر على كل شىء بعينيها . بالتدريب ستنجح فى النهاية . السيجار مهم لأن وزنه مناسب تمامًا .

كانت هناك تسريحة فى غرفتها عليها فرشاة ومشط وكتابان . وضعت السيجار فى منتصف التسريحة ثم ابتعدت على مسافة عشرة أقدام .

بدأت تركز فشعرت بالكهرباء فى رأسها خلف عينيها . شعرت بسخونة فى كرتى عينيها .. وهنا تدحرج السيجار على التسريحة . ثم سقط على البساط .

استمتعت ماتيلدا كثيرًا بهذا .. كأن الشرر يطير من عينيها ويسقط على الأرض .. ما أبسط هذا ..!

التقطت السيجار وأعادته للمنضدة .

الآن السؤال الأصعب : لديها القدرة على الدفع فهل لديها القدرة على الرفع ؟ هذا مهم .. يجب أن أرفع شيئًا وأرى إن كان سيظل هناك ..

راحت تركز على السيجار .. ارتفع .. ارتفع !

بدأ يتدحرج .. فجأة بدأ يرتفع فعلاً .. بوصة لا أكثر .

استطاعت بجهد جهيد أن تبقيه هناك عشر ثوان ثم سقط ..

ـ « ففف !.. أنا قد استطعت !.. »

لمدة ساعة ظلت تجرب .. فى النهاية استطاعت بعينيها أن ترفع السيجار ست بوصات وأبقته هناك دقيقة . فجأة استبد بها الإرهاق فرقدت ونامت .

هكذا وجدتها أمها فى المساء .. أيقظتها وهتفت :

ـ « ما بك ؟.. هل أنت مريضة ؟ »

نهضت ماتيلدا ونظرت حولها :

ـ « رباه !.. لا .. أنا بخير .. فقط مرهقة ! »

فى كل يوم بعد المدرسة كانت تغلق الباب على نفسها وتتدرب بالسيجار . بعد ستة أيام استطاعت رفع السيجار وأن تذهب به حيثما شاءت . كان هذا رائعًا .

الآن حان وقت تنفيذ خطتها الكبرى .

المعجـزة الثـالثة

كان اليوم التالى هو الثلاثاء . هذا هو يوم قدوم الترنشبول للإشراف على الصف بعد الغداء .

فى الصباح قالت لهم مس هونى :

ـ « هناك اثنان لم يستمتعا بزيارة المديرة الأخيرة ، لذا حـاولا أن تكونا حذرين اليوم .. كيف حال أذنيك يا إريك ؟ »

قال إريك :

ـ « شدتهما .. أمى تقـول إنهمـا صـارتا أكبـر .. أنـا أكره المديرة .. »

ـ « لا تظهر هذا .. لا جدوى من هذا .. إنها امرأة قوية جدًا وعضلاتها كحبال الصلب .. »

ـ « أتمنى لو كنت كبيرًا .. كنت سأسحقها .. »

ـ « لا أحد يقدر على ذلك .. أعتقد أنها سوف تمتحننـا فـى جدول (3) .. لذا تذكروا هذا .. »

جاءت ساعة الغداء وانتهت .

بعد الغداء دخل التلاميذ الصف وجلسوا ينتظرون خائفين ..

فجأة دخلت الترنشبول العملاقة واتجهت لدورق الماء فملأت الكوب ..

قالت :

ـ « يسرني أن أرى أنه ليست هناك مخلوقات لزجة في الماء هذه المرة .. لو وجدت لحدث شيء مخيف لكل تلميذ هنا وحتى أنت يا مس هوني .. »

ظل الصف صامتًا متوترًا .. لم يعد أحد مستعدًا للمجازفة .

ـ « تعالوا نر حفظكم لجدول (3) .. أو تعالوا نر مدى فشل مس (هوني) في تعليمه لكم .. »

ظلت مس هوني صامتة في نهاية الصف .

كذلك ظلت ماتيلدا تراقب المشهد بعناية .

أشارت مس ترنشبول إلى صبي اسمه (ويلفريد) وأمرته :

ـ « قف .. سمع لي جدول ضرب (3) من الخلف للأمام .. »

ـ « من الخلف ؟.. لكني لم أتعلم ذلك ! »

صرخت المرأة منتصرة :

-« لم تعلمكم أى شىء !.. لماذا لم تعلميهم شيئًا طيلـة الأسبوع الماضى يا مس هونى ؟ »

- « أنا علمتهم يا مس (ترنشبول) .. لكن لم أر نفعًا فى تعليمهم الجدول بالمقلوب .. إن هدف الحياة يـا سيدتى هـو الحركة للأمام .. أتساءل إن كان بوسعك أن تتهجنى كلمة بسيطة مثل (صحيح) بالمقلوب .. أشك فى هذا .. »

انفجرت المرأة :

- « لا تكونى وقحة معى ! »

ثم استدارت للصبى وسألته :

- « لدى سبع تفاحـات وسبع برتقـالات وسبع موزات .. كم ثمرة معى ؟.. هلم !.. أجب ! »

صاح الصبى :

- « هذا جمع .. ليس جدول ثلاثة ! »

-« أيها الأبله !.. يا خراج اللثة المتقيح !.. أيها الفطر الذى لدغته البراغيث !.. هذا بعينه جدول ثلاثة ..! »

ارتجف الصبى وراح يعد على أصابعه . فصاحت من جديد :

ـ « أيتها اليرقة !.. هذا ليس جمعًا بل هو ضرب .. اضرب 3 x 7 .. »

كان الصبى الآن فى حالة ذعر لا تسمح له بالكلام أصلاً .

سرعان ما صارت الترنشبول جواره .. وبحركة رياضية بارعة قلبته على الأرض وفى منتصف المسافة التقطته من كاحله وعلقته كالدجاجة .

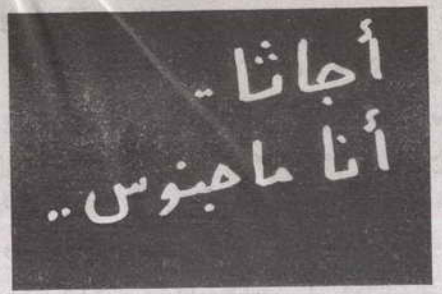
هنا وثب نيجل فجأة وصرخ وهو يشير إلى لوح الكتابة :

ـ « قطعة الطبشور !.. قطعة الطبشور !.. إنها تتحرك ! »

نظر الجميع بمن فيهم الترنشبول .. بالفعل رأوا قطعة الطبشور تتحرك على لوح الكتابة الأسود ..

ـ « إنها تكتب ! »

وبالفعل كان هذا ما يحدث ..



صرخت الترنشبول :

ـ « ما هذا بحق السماء ؟ »

لقد هزها أن ترى اسمها تكتبه يد غير مرئية .. أسقطت الصبى أرضًا وصرخت :

ـ « من يفعل هذا ؟ »

ثم اكتمل ذعرها عندما قرأت الاسم (ماجنوس) ..

كانت مس هونى تنظر لماتيلدا .. كانت الطفلة تجلس معتدلة ورأسها مرتفعة .. وعيناها تلمعان ..

نظر الجميع للترنشبول .. كان وجهها قد صار أبيض وفمها مفتوح وهى تطلق شهقات كحوت أخرج من الماء .

أجاثا ..
أعيدى إلى چينى
بيتها .

أعيدي إلى چينى بيتها
ثم ارحلى .. وإلا جئت
لأظفر بك كما ظفرت
أنت بى .

انتهت قطعة الطبشور من الكتابة فسقطت أرضًا وتهشمت إلـى نصفين ..

صرخ ويلفريد :

ـ « مس ترنشبول سقطت أرضًا !.. مس ترنشبول فقدت الوعى ! »

وثب الصف كله ليرى بشكل أفضل . هناك كانت بجسدها الضخم على ظهرها بانتظار العد التنازلى . وهرعت مس هونى لتفحصها ثم صاحت بالصبية كى ينادوا الممرضة .

وثب نيجل وتناول دورق الماء وصاح :

ـ « أبى يقول إن الماء البارد أفضل شىء لإفاقة شخص فقد الوعى .. »

وسكب كل الدورق على رأس الترنشبول .. لم يعترض أحد . ظلت ماتيلدا جالسة حيث هى شاعرة بالرضا ..

كانت تشعر بقوة غير أرضية .. قوة لا يمكن وصفها ..

لقد فعلت كل شىء .. صار كل شىء سهلاً ..

جاءت الممرضة مع عدة رجال ، وصاح أحد الرجال :

ـ « يا للسماء !.. أحدهم مرغها فى التراب أخيرًا .. أهنئك يا مس هونى ! »

سألت الممرضة :

ـ « من سكب الماء ؟ »

قال نيجل بفخر :

ـ « أنا .. »

قال رجل آخر :

ـ « أحسنت .. هل أجلب المزيد ؟ »

فصاحت الممرضة :

ـ « كفى !.. فلنحملها إلى العيادة .. »

احتاجوا لخمسة مدرسين لحمل المرأة ..

قالت مس هونى للصف :

ـ « عليكم النزول للفناء واللعب .. »

ثم اتجهت للوح الكتابة ومسحت ما عليه بعناية . كادت ماتيلدا تخرج معهم لولا أن استوقفتها مس هونى .. احتضنتها وأعطتها قبلة حارة .

بيت جديد

سرعان ما انتشرت الأخبار فى المدرسة أن الترنشبول شفيت من النوبة وغادرت المدرسة شاحبة وقد أطبقت شفتيها .

فى الصباح التالى لم تظهر فى المدرسة .. اتصل بها النائب ظهرًا ليسأل عن صحتها فلم يتلق إجابة .

مشى لبيتها بعد ساعات الدراسة .. كانت تقيم عند أطراف القرية فى بيت جميل من القرميد يسمونه (البيت الأحمر) .

دق الجرس فلم يرد أحد .

قرع الباب فلم يرد أحد .

صاح : « هل من شخص هنا ؟ »

لا إجابة ..

جرب الباب ففوجئ به مفتوحًا .. هكذا دفعه ودخل ..

كان البيت صامتًا والأثاث فى مكانه . صعد للطابق العلوى .. كان فضوليًا لدرجة أنه دخل غرفة النوم وراح يفتح خزانات الثياب والأدراج . لم تكن هناك ثياب .. كلها اختفت ..

هرع للمدرسة ليخبرهم أن المديرة اختفت تمامًا ..

فى الصباح التالى وصل لمس هونى خطاب مسجل من محام يخبرها أن وصية أبيها قد ظهرت فجأة . الوصية تقول إنه منذ وفاة أبيها صارت هى الوريث لبيت اسمه (البيت الأحمر) على حافة القرية . أما عن مدخرات الأب فما زالت فى المصرف وقد تركها لها . مطلوب منها أن تتوجه لمكتبه .. سوف يسلمها المال فورًا .

خلال أسبوعين انتقلت للبيت حيث نشأت وحيث كان كل أثاث أسرتها . فى كل ليلة صارت ماتيلدا تزورها ونمت صداقة حميمة بين الطفلة والمعلمة .

فى المدرسة طرأت تغيرات عظمى .. عرف الجميع أن الترنشبول اختفت ، فتم تعيين مستر (تريلبى) الرائع بدلاً منها وانتقلت ماتيلدا لصف أعلى لذكائها .

بعد أسابيع كانت ماتيلدا تشرب الشاى مع مس هونى فى المطبخ ، عندما قالت ماتيلدا :

ـ « حدث شىء غريب يا مس هونى .. »

ـ « ما هو ؟ »

- « هذا الصباح جربت دفع شىء بعينى فلم أقدر .. لقد فارقتنى القوى وأحسبها رحلت للأبد .. »

وضعت مس هونى لنفسها بعض المربى على شريحة خبز مقدد وقالت :

- « توقعت هذا .. »

- « لماذا ؟ »

- « مجرد تخمين .. بينما كنت فى الصف كان مخك الذكى يغلى ويحاول التحرر من رأسك .. كانت هناك طاقة هائلة لا تعرف لأين تذهب .. صار بوسعك تصويب هذه الطاقة عبر العينين لتحركى الأشياء .. لكن اليوم اختلفت الأمور .. أنت مع أطفال ضعف سنك لذا يحارب مخك كى يلحق بهم .. مخك مشغول فلا وقت لديه .. هذه نظرية سخيفة لكن لا أحسبها خيالية جدًا .. »

- « يسعدنى هذا .. لا أريد قضاء حياتى كمعجزة .. »

- « قمت بما يكفى .. ما زلت لا أصدق ما حدث لى .. »

سألتها ماتيلدا :

- « هل تعرفين أن قلب الفأر يدق 650 دقة فى الدقيقة ؟ »

ـ « لا أعرف .. أين قرأت هذا ؟ »

ـ « فى كتاب بالمكتبة .. هذا يعنى أنك لا تسمعين الدقات بل تسمعين طنينًا .. »

ـ « لابد أنه كذلك .. »

ـ « وماذا عن القنفذ ؟ »

ـ « قولى أنت .. »

ـ « يدق 300 دقة فى الدقيقة .. ما كنت لتتوقعين هذه السرعة فى كائن بطيء لهذه الدرجة .. الحصان يدق قلبه 40 دقة فى الدقيقة"

ظلتا جالستين لمدة ساعة .. ثم تمنت لها ماتيلدا ليلة طيبة وانطلقت عائدة لبيت أبيها . هذه مسافة تستغرق 8 دقائق . عندما بلغت بيتها رأت مرسيدس سوداء تقف فى الخارج .. لم تلحظها باهتمام .

لكنهادخلت البيت لتجد منظرًا غريبًا من الفوضى .. أبوها وأمها فى الصالة يحزمان كل شيء فى حقائب .

صاحت :

ـ « ماذا هنالك يا أبى ؟ »

قالت مس ورموود دون أن تنظر لها :

ـ « سنرحل .. سنذهب للمطار خلال نصف ساعة .. يجب أن تحزمى حاجياتك .. تحركى ! »

ـ « نرحل ؟... أين ؟ »

ـ « أسبانيا .. بلد أكثر دفئاً من هذا البلد القذر"

ـ « لكنى لا أريد الذهاب لأسبانيا .. أنا أحب هذا المكان ومدرستى .. »

صاح أبوها :

ـ « افعلى كما تؤمرين .. عندى مشاكل كافية من دونك !.. لن أضيع هذه الطائرة .. »

ـ « لكن متى نعود يا أبى ؟ »

ـ « لن نعود !.. هلم ! »

خرجت ماتيلدا من الباب المفتوح .. وفى الطريق راحت تركض .. اتجهت لبيت مس هونى فلحقت بها فى الحديقة

الأمامية وفى يدها مقص . رأتها فخرجت من حوض الأزهار لتقابلها ..

هتفت :

ـ « عزيزتى !.. ماذا حدث ؟ »

وقفت ماتيلدا أمامها لاهثة متقطعة الأنفاس :

ـ « سيرحلون !.. لقد جنوا وهم يملئون الحقائب .. سيرحلون لأسبانيا خلال نصف ساعة ! »

ـ « هل تعنين إجازة ؟ »

ـ « بل للأبد .. أبى يقول إننا لن نعود ! »

ساد الصمت .. ثم قالت مس هونى :

ـ « هذا لا يدهشنى .. »

ـ « تعنين أنك تعرفين ؟.. لم لم تخبرينى ؟ »

ـ « لا يا حبيبتـى .. لـم أعـرف أنهـم راحلـون .. لكن هذا لا يدهشنى .. »

صاحت ماتيلدا متقطعة الأنفاس :

- « لماذا ؟.. أرجوك قولى لى .. »

- « لأن أباك يعمل مع نصابين .. كل القرية تعرف ذلك .. إنه يبتاع السيارات المسروقة من أرجاء البلاد .. إنه متورط تمامًا

نظرت لها ماتيلدا مفتوحة الفم .

- « الناس يجلبون سيارات مسروقة لأبيك فيغير الأرقام ويغير لونها .. لابد أن هناك من قال له إن الشرطة قادمة لذا يفعل ما يفعلونه .. يفرون .. لابد أنه أرسل ماله لأسبانيا على مدى سنين .. وهو ينتظر وصوله .. »

صاحت ماتيلدا وهى ترمق الأزهار والبيت الجميل المبنى من القرميد :

- « لا أريد الرحيل معهم .. »

- « أخشى أن هذا واجبك .. »

- « أريد أن أعيش معك .. دعينى أعش معك ! »

قالت مس هونى :

- « أتمنى ذلك ، لكن هذا مستحيل .. لا يمكن ترك أبويك لأنك تريدين هذا .. لديهما حق أخذك .. »

صاحت ماتيلدا فجأة :

ـ « وماذا لو وافقا ؟.. ماذا لو قالا إن بوسعى البقاء ؟ »

قالت مس هونى :

ـ « ستكون هذه هى الجنة .. »

ـ « سوف يوافقان .. سوف يوافقان فهما لا يباليان بى .. يجب أن نسرع .. سوف يرحلان فى أية لحظة !.. هلم ! »

وأمسكت بيد مس هونى ..

ـ « يجب أن تجرى !.. تعالى واسأليهم ! »

راحتا تركضان نحو الطريق .. كانت ماتيلدا فى المقدمة تمسك بيد مس هونى .. ركض مجنون عبر القرية نحو بيت ماتيلدا ..

وكانت المرسيدس السوداء هناك . أبوابها مفتوحة ومستر ومسز ورموود يضعان الحقائب فيها كالنمل .

صاحت ماتيلدا :

ـ « أبى وأمى .. لا أريد الرحيل .. أريد البقاء هنا مع مس هونى .. تقول إن هذا بوسعى لو سمحتما لى .. وافق أرجوك يا أبى ! »

استدار الأب ونظر لمس هونى .. قال :

ـ « أنت المعلمة التى جئت هنا ذات مرة .. أليس كذلك ؟ »

ووضع حقيبة فى السيارة فقالت زوجته :

ـ « هذه يجب أن توضع فى المقعد الخلفى .. »

قالت مس هونى :

ـ « أريد أن أربى ماتيلدا .. سوف أعنى بها تمامًا .. سأدفع كل نفقاتها .. لن تكلف مليمًا .. لكن هذه فكرتها هى .. لن آخذها دون موافقة كاملة .. »

قالت الأم :

ـ « هلم هارى .. لم لا تدعها ترحل لو كانت تريد هذا ؟.. سيقلل هذا نفقاتنا .. »

قال الأب :

ـ « أنا متعجل .. هناك طائرة يجب أن ألحق بها .. لو أرادت البقاء فلتبق .. »

وثبت ماتيلدا فى ذراعى مس هونى .. واحتضنتها مس هونى ..

وسرعان ما انطلقت السيارة بالأبوين والأخ وعجلاتها تعوى .. لوح الأخ بيده من النافذة لكن الأبوين لم ينظرا للخلف . كانت مس هونى ما زالت تحتضن ماتيلدا ولم تتبادلا كلمة واحدة .. بينما السيارة السوداء تختفى فى الأفق .

روآلد دال

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

70



ماتيلدا

من الصعب جدًّا أن تصنّف أدب الكاتب البريطانى نرويجى الأصل (رو آلد دال) ؛ فهو ليس كاتب أطفال .. بعض قصصه مرعب فعلًا ، كما أنه ليس كاتبًا للرعب ؛ لأن عنصر الخيال البهيج مهم فى قصصه ، وهو كذلك ليس أديبًا ساخرًا برغم أن السخرية ثابتة فى أدبه ، لكنها سخرية ممزوجة بالكثير من القسوة .

الحقيقة أنه خليط من هذا كله ، وكتاباته مزيج ساحر خلاب لا يقدر على كتابته سواه .

العدد القادم

الرجل الذى يجمع كتب (بو)

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



